



روايات مصرية للجيب -

بلا أمل

زهور

٤٠



Looloo

www.dvd4arab.com

د. نبيل فاروق

الطبعة الأولى
الطبعة العربية الحديثة
الطبع والنشر والتوزيع
دار النشر والتوزيع

فاتنة هي ..

حقًا فاتنة ..

ربما أنها ليست خارقة الجمال ، كما قد يُوحى الوصف في
البداية ..

ولا هي شديدة التألق ..

ولا حتى صاحبة قوام فينوسى غلاب ..

إنها - وبكل هذه المقاييس - فتاة عادية ..

ولكنها فاتنة ..

في نظري على الأقل ..

إنها من ذلك النوع النادر ، الذى يجمع ما بين البساطة
والفقه بالنفس ..

ومنذ عرفتها - مع سنوات دراستي الجامعية - وهي

تلقت انتباهي في شدة ..

صحيح أنني لم أقرب منها كثيرًا ..

بلا أمل

حتى عندما تنتزع سمكة صغيرة من الماء ، وتلقى بها في قلب
صحراء قاحلة ، يبقى لديها الأمل في أن تمطر السماء ،
فتحيها ..

فالسمة قد تحيا بلا ماء ، ولكنها لن تحيا أبدًا بلا أمل ..

د . نبيل فاروق

ولم أصادقها إلا منذ عدد من السنوات ، لا يتجاوز أصابع
اليد الواحدة ..

وصحيح أنني — عندما تزوجت — انحريت أخرى
تناقضها تمامًا ، وعن اقتناع تام ..
ولكنها كانت وما زالت تفتني ..
ولست وحدي في هذا ..

إنها — كما لاحظت — تفتن العديد من الشباب بروحها
المرحة ، وبساطتها المتناهية ، وتلك الضحكة المطلقة دوماً من
عينها ، وهذه المودة الرائعة في تعاملها ، وذلك المزيج المفتح
من أذنين وقلب ، يمكنك أن تفرغ فيهما دوماً كل أحزائك ..
كانت وما زالت مستمعة جيدة ، ومتعاطفة أكثر جودة ..
وكثومة ..

كثومة إلى حد كبير ..
معها يمكنك أن تكشف كل أوراقتك ، وأنت والى من أن
أحدًا غيرها لن يظالمها ..
ومن السهل أن تقع في حبها ، دون أن تدري ، حتى وأنت
تحب أخرى ..

ولكن من الصعب أن تغامر بالزواج منها ..
وهذه هي مشكلتها ..

***** ٦ *****

ومأساتها ..

أودعما أن مشكلتها الحقيقية هي أنها تمنح لفتها سهولة للجميع ..
أو هي مزيج من هذا وذاك ..
وربما كانت كلمة مأساة هذه مصطلحاً مبالغاً فيه لحياتها ..
فعل الرغم من كل ما واجهها من مشكلات وعقبات ..
ومن خيانات ..

وجراح ..

على الرغم من كل هذا لم أرها يوماً باكية أو حزينة ..
كانت دوماً مبتسمة مرحة ..
مفعمة بالحياة ..
بالحب ..

دوماً تحمل ذلك القلب الحنون المفتوح ..
والأذان الصاغية ..

لم أر عينها أبداً دون تلك الضحكة المتراقصة فيهما ..
أبداً ..

إلا في ذلك اليوم ..

وكنيت أعلم أن هذا سيحدث ..

كنت أعلم أن قناع المرح الزائف ، الذي تخفى به آلامها
وجراحها ، لن يصمد إلى الأبد ..

***** ٧ *****

كنت أعلم أنه سينهار يوماً ، ليكشف عن تلك الطبيعة
الكامنة في أعماقها ، وذلك الوجه الذى يخفيه أبداً ..

عن الحزن ..

والألم ..

وعلى الرغم من لفتى في حدوث ذلك يوماً ، فقد هالنى
مراها ..

هالنى أن أراها شاحبة الوجه هكذا ..

كل الحيوية ضاعت ونحبت ..

تلك الضحكة في العينين سبجتها هالات سوداء من السُّهد

والقلق ..

ابتسامة الشفتين ذابت في نهر من الحزن والمرارة ..

عندما رأيته في ذلك اليوم ، كدت أنكر أنها هي ..

كدت أهتمها بأنها أخرى ، تتحل وجه تلك الفاتنة ..

ولكن أعماق أنكرت على دهشتى ..

لِمَ يدهشنى هذا ؟

ألم أكن أتوقعه منذ زمن ؟ ..

ألم أكن — على نحو أو آخر — أنتظره ؟ ..

لقد حدث ما تنبأت به إذن ..

وكم أشعر بالحزن من أجل ذلك ..

ومن أجلها ..

وكم تمنيت أن أسألها عن سرِّ حزنها ..

وأن أحل موقعها مرة ..

أن أمنحها ذلك القلب المفتوح ..

وتلك الأذان الصاغية ..

ولكننى لم أفعل ..

لم أستطع ..

ولم أجرو ..

والواقع أننى لم أكن أحتاج إلى معرفة قصتها ..

فأنا أعرفها ..

أعرفها بكل التفاصيل ..

أعرف حتى ما لا تتصور هى أننى أعرفه ..

ولكنها تحتاج إلى إفراغ ما يلتهم أعماقها ..

تحتاج إلى قلب مفتوح ، وإلى آذان صاغية ..

أتريدون معرفة قصتها ؟ ..

أهدفكم فضولكم إلى كشف سرِّ حزنها ؟

حسناً .. تعالوا معى نغص في بحر الزمن ..

ونغلق إلى البداية ..

إلى بداية قصتها ..

***** ٩ *****

***** ٨ *****

٢ — البداية ..

لا يمكننى أن ادعى أنى أعرف بداية حياة (إنجى) —
وهذا هو اسمها — لأننى — كما سبق أن قلت — لم ألتق بها إلا
مع دراستى الجامعية ..

ولكننى أعلم كيف بدأت هى حياتها الجامعية ..

لقد رأيتها فى أول أيام دراستها الجامعية ..

وهذه — بالنسبة لى — هى البداية ..

كنت يومها أبدأ أول أيام عامى الدراسى الرابع فى كليتى
العملية ، التى يتهاافت خرججو الثانوية العامة لدخولها والالتحاق
بصفوفها ، وكانت هى تبدأ عامها الأول فى كلية أخرى عملية
مرموقة ، كانت تشارك كليتى نفس المبنى ، فى بلسدى
الصغيرة ، التى تتوسط الدلتا ..

وبينما كنت أتناور مع بعض زملاء الدراسة ، وأتبادل
معهم التحيات وعبارات اللقاء بعد طول غياب ، رأيتها ..

كانت تعبر فناء الكلية فى خطوات مرحة سريعة ، وشعرها

***** ١٠ *****

الكشبان القصير يتطاير حول وجهها المستطيل ، وعيناها
تحملان نفس الضحكة المرتسمة على شفتيها ..

وكانت ترتدى ثوباً بسيطاً شبانى الطراز ، بسيط التطريز ،
أنيق المظهر ..

وأنا لى — منذ حدائى — نظرية خاصة بثياب النساء ،
وعلاقتها بشخصياتهن ..

إننى اعتبر ثوب المرأة دليلاً على شخصيتها وانهاؤها ، وثقتها
بنفسها ..

فالمرأة البرجوازية ، ذات الدخل المحدود ، الذى يسمح
لها بشراء ثوب جيد ، ولكنه ليس ثميناً ، تحرص دوماً على أن
تختار لثوبها شكلاً حديثاً ، أو أنيقاً ، أو تضيف إليه حلية
جذابة ، حتى يبدو الثمن من حقيقته ..

وذاات الطابع المستبرى ، تميل إلى الأزياء الصارخة
الألوان ، العجيبة الطراز ، التى تلفت انتباه الجميع إليها
حتمًا ..

والثرية المتباهية تختار ثوباً غالى الثمن ، وطراراً من أشهر
مجلات الأزياء ، وعدداً من الخلى البراقة ..

وهناك نوع أحبه وأفضله دوماً ..
إنه تلك الفتاة التى تثق بجمالها ، إلى حد يجعلها تختار دوماً

***** ١١ *****

لونا بسيطاً ، وهي على فناعة تامة بأن جملها سيجعل منه تحفة
مكتملة ..

— و (إنجي) من هذا النوع ..

لم تكن — كما قلت — باهرة الحسن ، ولكن جمالها الرقيق ،
وروحها المرحية ، وثقتها الشديدة بنفسها ، كلها جعلت منها
هاتنة ..

والدليل على ذلك أن كل الأنظار اتجهت إليها ..
ولأول مرة في حياتي ، راودتني الرغبة في تعرف قصة
بدايتها ..

وكدت أقدم على ذلك ..

ولكنني لم أفعل ..

استوفتني هي ، عندما التفتت بكل المرح إلى شاب
يتبعها ، وهفت به في لهفة :

— (مجدي) .. هيا ..

كانت عيناها تحملان شعلة اهتمام به ، وصوتها يحمل رلة
لهفة إليه ، حتى أنني أدركت على الفور أنها تميل إليه ..
ولقد أدهشني ذلك حقاً ..

أدهشني ، لأن هذا يومها الأول في الكلية ، ولأن ذلك
الشاب لم يند لي شديد الاهتمام بها ، كشعورها نحو ..

***** ١٢ *****

لقد بدا — على العكس — مزهواً ، متباهياً بأن الفتاة التي
جلبت اهتمام الجميع تنتمي إليه ..

وأيقنت لحظتها أن هذه العلاقة لن تستمر ..

ولن تبلغ متنهاها بسهولة ..

وعندما توطدت صلتى بـ (إنجي) ، بعد سنوات من هذا
اللقاء الأول ، علمت منها أن يقيني هذا لم ينتقل إليها أبداً ..

لقد كانت — على العكس — والقة تماماً من صحة هذه
العلاقة ، ومن استمراريتها ..

هذا ، لأنها تثق في الجميع ..

وحتى بعد أن توطدت علاقتي بـ (إنجي) — بعد زواجي —

فهي لم تقص عليّ أبداً تفاصيل حياتها ، ولا تفاصيل ما لقيته من
لكيات ، وإن كنت قد عرفت الكثير من تلك التفاصيل ، بما يكفي

لأن أروى اليوم قصة حياتها ، منذ بدأت دراستها الجامعية ، وحتى

الآن ، دون أن تتجاوز الحقيقة بكثير ، أو أميل عن جانب الواقع طويلاً ..

وأستمحيكم عذراً في أنني لن أذكر أبداً كيف عرفت كل

هذه التفاصيل ..

وأعذكم في الوقت نفسه بأن أذكر كل ما عرفته عن حياتها

عن (إنجي) ..

***** ١٣ *****

الانتقال من الدراسة الثانوية إلى حياة الجامعة أمر شاق ،
يقدم عليه الفتيان والفتيات عادة بسرع من الحذر ، يخلط
باللهفة والفضول ، وبذكرات مهمة عن أيام الاختلاط
الأولى في المدارس الابتدائية ..

ومع بداية عامهم الدراسي الأول ، يُخيل إليك أن كلام من
الجنسين يدل جهلاً مضمناً يبدو طبيعياً مرحاً ، وليخفى عن
الآخرين تلك الرهبة ، التي تحتاج أعماقه ، مع هذا التحول
الجديد في حياته ..

ولكن (إنجي) لم تغان من هذا ..

لقد عاشت حياتها كلها ، ومنذ طفولتها ، وهي تخطط
بأبناء عمومتها ، وأبناء أخوالها ، من فتيان في مثل عمرها ، أو
أكبر أو أصغر بما يتجاوز العامين أو الثلاثة ، مما جعلها تستقبل
عامها الجامعي الأول في بساطة ومرح ، وقد أسعدها أن تنتقل
إلى عالم أكثر حرية وانطلاقاً ، فأقبلت عليه هاشة باشة ، تتألق
ابتسامتها على شفيتها ، وترافق مرحلة في عينيها ، وهي ترتدي
ثوباً بسيطاً أنيقاً ، امتزج مع جمالها الهادي ، وروحها المنطلقة ،
لفصنع لوحة جذابة رائعة ..

ولقد بهرت تلك اللوحة (مجدى) ، فراح يتأملها شارداً
مشدوهاً ، وراح يتساءل في أعماقه عما إذا كانت من ذلك النوع
من الفتيات ، اللاتي يمكنه أن ينشئ معهن حواراً ، أم

***** ١٤ *****

ودون أن يدع لنفسه فرصة للتفكير ، وباندفاعيته التي
غرف بها وسط زملائه وأقرانه ، اقرب منها ، وتحنج قاللاً :
— صباح الخير .

التفت إليه بعينها العسلتين الضاحكتين ، واتسعت
ابتسامتها في بساطة ، وهي تجيبه :
— صباح الخير .

أدهشته بساطة استجابتها ، وهو الذي استعد لجولة طويلة من
المحاورات والمناورات ، كعادة فتيات مدينته الصغيرة ، اللاتي
يحملن في أعماقهن حذر الريف وخبثه ، وأربكه أسلوبها الخالي من
التعقيدات ، حتى أنه ازدرى لغابه في تعلم ، وغمغم في لحفوت :

— اسمي (مجدى) .. طالب جديد في كلية الطب .

أجابته بنفس البساطة ، وابتسامتها تزيّن شفيتها :

— وأنا (إنجي) .. طالبة جديدة بكلية الصيدلة .

تطلع إليها لحظات في خيرة ، وقد أعجزته بساطتها عن
مواصلة الحوار ، فأطلقت هي ضحكة هادئة مرحة ، وقالت :

— أتعلم أننا سنتلقى علومنا معاً في السنة الإعدادية ؟ (*)
غمغم :

— نعم .. أعلم ذلك .

(*) كان هذا النظام متبعاً قديماً ، حيث كانت هناك سنة إعدادية ،
يشترك فيها طلبة كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان .

***** ١٥ *****

ضحكت قائلة :

— لست أدري ما فائدتها... إن علومها تشبه علوم
الثانوية العامة ، وينبغي أن يفكروا جدًّا في إلغائها .

كانت منطلقة في الحديث في بساطة وتلقائية ، حتى أن
حاضر المخرج بينهما قد ذاب في أعماقه دفعة واحدة ، وهو
يقول في حماس :

— لا ريب أنهم سيلغونها يومًا .. لقد سمعت تصريحًا من
وزير التعليم بذلك .

ضحكت قائلة :

— وهل تصدق تصريحات المسئولين ؟

ضحك بدوره ، وهو يقول :

— هذا أفضل من مواجهة الواقع بكل مرارته .
الصل الحديث بينهما في يسر وسهولة ، وبهرته شخصيتها
كثيرًا ، وراح يلتهم وجهها وابتسامتها التهامًا ، حتى حانت
لحظة أول محاضراتهما ، فقالت هي في لهفة وحماس :
— ما رأيك أن نحضر المحاضرة الأولى معًا ؟

أجابها في مزيج من الدهشة واللهفة :

— أحقًا ؟.. لقد خشيت أن أطلب منك ذلك !

رفعت حاجبها مغممة :

— خشيت ؟.. ولماذا ؟

***** ١٦ *****

ارتبك وهو يجيب :

— إن مجتمعنا مطلق كما تعلمين ، ولقد خشيت أن يخرجك
هذا ، و

قاطعته بضحكة مرحة ، وهي تقول :

— دخلك من هذا المجتمع ، فمن الآن في الجامعة ،
وما دامو قد سمعوا لنا بالاختلاط ، فكيف يعترضون على
تجاوزنا في قاعة المحاضرات .

قالتها واندفعت نحو المدرج في مرح ونشاط ، قبل أن تلتفت
إليه هاتفة :

— هيا يا (مجدى) .. هيا .

تحيل إليه ، كما تحيل إلى في اللحظة ذاتها ، أن صوتها
وعينيها يحملان الكثير من اللهفة والشوق ، ولم يدرك كلانا أن
هذا هو أسلوبها الطبيعي في الحوار والحماس ..
لم أدرك أنا على الأقل هذا إلا مؤخرًا ..

وعندما تصور (مجدى) أنها تخاطبه بكل اللهفة والشوق ،
انصغرت أوداجه فخرا ، وبعها مزهوا كالطاروس ..

وفي أول محاضرة لهما في الجامعة ، جلسا متجاورين ، وإن
فرقت بينهما عشرات الأشياء ..

ولم يفهم هو حرفًا واحدًا من محاضراته الأولى ، وهو يجلس

***** ١٧ *****

إلى جوارها مبهورًا مشدوها ، في حين بدت شديدة الاهتمام
بالمحاضر والمحاضرة ، حتى انتهت ساعات الاستماع ، فالتفت
إليه هائلة :

— محاضرة رائعة ، يبدو أن حياة الجامعات ستروق لي .
غمغم مبهورًا :

— حقًا ؟

ابتسمت وهي تسأله في اهتمام :

— ألم ترق لك ؟

أجابها في حماس :

— جدًا .

هتف بالكلمة وهو يلتزمها هي بعينه ، فابتسمت في

عجل ، وغمغمت وهي تشيح بوجهها ارتباكًا :

— أتعشم ذلك .

زأن عليهما الصمت لحظات ، ثم غمغم هو :

— أنت من بلدتنا هذه ؟

أجابته في هدوء :

— نعم .. لقد ولدت وترعرعت هنا .

نعم وهو يبرز رأسه في خيرة :

— عجبًا !!

***** ١٨ *****

سأله في اهتمام :

— وما العجيب في ذلك ؟

تردّد لحظة ، ثم أجاب :

— العجيب هو أنني لم ألتق بك من قبل !

ضحكت قائلة :

— وهل من الطبيعي أن يحدث هذا ؟

أجابها في جدية :

— طبعًا ، فبلدتنا صغيرة إلى حد ما ، وعدد الفتيات

الجميلات فيها محدود ، و

قاطعته وهي ترفع حاجبها في دهشة :

— الجميلات ؟

ارتبك قائلاً :

— أغني بنات العائلات .

ابتسمت في هدوء ، وهي تقول :

— أظن كل مخلوق في الدنيا هو ابن عائلة ما .

غمغم في ضيق :

— إنه مجرد مصطلح ، نقصد به بنات الطبقة الراقية .

اعتذلت لسأله في اهتمام وفضول :

— وما المقصود بالطبقة الراقية ؟

***** ١٩ *****

أدهشه سؤاها ، ففهم :

— يا له من سؤال ١.. إنها الطبقة الغريبة ، ذات المركز الاجتماعي الجيد ، و
قاطعه مرة أخرى :
— خطأ .

عقد حاجبيه في غضب ، وهو يقول بصوت متكرر :
— أى خطأ في هذا ؟

أشارت إلى رأسها ، وهي تبسم قائلة :

— الرئي هنا .. في العقل .. فقد يكون الإنسان لربما ،
ومصاحب مركز مرفوق ، ولكنه يملك عقلاً متخلفاً .. ولست
أقصد الجنون بذلك ، وإنما أقصد التخلف الحضاري ، كان
يحفظ بأفكار رجعية قديمة ، أو بتقاليد بالية مخرفة ..
بهره أسلوبها الواثق الهادئ ، فوجد نفسه يفهم
بلا وعي :

— صدقت .

التسعت ابتسامتها ، وكأنها أسعدها أن يوافقها على رأيها ،
وقالت :

— في هذه الحالة يمكنك أن تقول إنني من بنات الطبقة
الراقية ، فأني ناجر بسيط ، على درجة معقولة من الثراء .

***** ٢٠ *****

ولكنه متفتح العقل ، يؤمن بمنح بناته حريتهن الكاملة ، خاصة
وأن له ثلاث فتيات فحسب ، أما أمي فهي سيّدة رائعة ، وهي
أكثرنا جمالاً ، ولم تبلغ الأربعين من عمرها بعد ، وعقليتها أكثر
شباباً منا ، حتى أنها تفكر جذياً في الالتحاق بالجامعة
الأمريكية .

سأها في اهتمام مشروب باللهفة :

— وماذا عنك ؟

هزت كتفها ، قائلة في مرح :

— فتاة في السابعة عشرة من عمرها .. طالبة بكلية الصيدلة .
غمغم :

— فقط ١٩ ؟

أجابته ضاحكة :

— حتى الآن .. نعم .

ابتسم ، وهو يقول :

— عجباً ١.. كيف لم نلتق من قبل ؟

قالت مبتسمة :

— أستظل تردّد هذا القول دوماً ؟

ابتسم لابتسامتها ، وهو يقول :

— نعم .. طالما يدهشني هذا .

***** ٢١ *****

هزّت كفيها قائلة :

— ربّما أنا نقيم في منطقتين متباعدتين .

— بلدنا ليست كبيرة إلى هذا الحد .

— هل لديك تفسير آخر ؟

— بالطبع .

— ما هو ؟

— أنني كنت أعمى .

تطلّعت إليه لحظات في دهشة ، لم تلبث خمرة الخجل أن تصاعدت إلى وجنتيها ، وهي تغمغم ..

— يا لك من عايت !

قالتا وشفّتاها تحمّلان ابتسامة خجلى ، راقت لقلبه كثيرا ، فغمغم في قيام :

— ولم لا نعيش ونمرح ؟ .. إنها سنوات شبابتنا .

غمغمت :

— صدقت .

وعندما بدأت المحاضرة التالية ، لم ينطق أحدهما بحرف ..
أو يفهم حرفا ..

***** ٢٢ *****

٣ — الغضب ..

كان من الطبيعي أن تزداد علاقة (إنجي) بـ (مجدى) قوة ، مع مرور الوقت ..

وكان من الطبيعي أيضا أن تجاهر هي بها ، وأن تمنحها صفة العلانية ، مع لفتها الشديدة بنفسها ، واحترامها الدائم لمشاعرها ومشاعر الآخرين ..

وكأنم رؤوم ، راحت تغمر (مجدى) بكل حبها وحنانها ، دون محاولة منها لإخفاء حبها له أو لهفتها عليه ..

أما هو ، فكان يختلف ..

لقد اتخذ من حبها له وسيلة للزهو والتفاخر على أقرانه ، ولإشباع غروره كرجل ، فراح يعاملها في استهتار ، ويتعمد إثارة قلقها ولهفتها عليه أمام الآخرين ، ليتباهى بذلك ..
والمعجب أنها لم تشعر بما يفعله معها ..

لقد استمرت تغمره بحنانها وعطفها طيلة الوقت ..
ولى أعماقه ، كان (مجدى) يشعر دوما بالضعف أمامها ، فقد كانت تملك كل ما يفتقده هو ..

***** ٢٣ *****

الثقة بالنفس ..

البساطة ..

والوضوح ..

ثم إنها غمّلت أيضا الشجاعة على إعلان مواقفها على نحو صريح ..

وفي داخله ، كان (مجدى) يحترف بتفوقها عليه في هذه

الأمثالات ، أمامي ظاهره ، فقد كان ينكر تماما أنها تفوقه في أية نقطة ..

وربما كانت محاولاته للسيطرة عليها نتيجة لشعوره بتفوقها

الطبيعى عليه ..

ربما ..

وكأى شخص محدود التفكير ، رأى (مجدى) أن أفضل

أسلوب لإيقاع (إنجي) تحت سيطرته هو أن يضمن حبها

الشديد له ..

ولم يذر — محدودية تفكيره أيضا — أنها واقعة في حُب

بالفعل ..

لم يثق بذلك ..

ولقد كانت هي نظيفة في حُبها له ..

لم تسمح له أبدا بالاقتراب منها ، بأكثر مما تسمح زمالتها

الجامعية ..

لم تمنحه ما ترفضه قواعد اللياقة والأخلاقيات ..

***** ٢٤ *****

وكانت تفعل ذلك في بساطة وهدوء ، محاولة تلافي

غضبه ..

حتى كان ذلك اليوم ..

كانا قد اشتركا في واحدة من الرحلات الجامعية ، إلى

مدينتي (الأقصر) و (أسوان) ، وجمعتما سهرة مفتوحة ، في

قاعة سهرات أحد الفنادق بـ (الأقصر) ، مع مجموعة من

زملائهما ، وجلس الجميع يراقبون مجموعة من الشبان

والفتيات ، انهمكوا في أداء بعض رقصات الشباب ، عندما

انحنى (مجدى) نحوها ، وقال في صوت سمعه الجميع :

— ما رأيك في رقصة ؟

أطلقت ضحكة مرحة ، وهي تقول :

— من ١٢ .. أنا ؟

أجابها في جدية :

— نعم .. أنت وأنا .. ما رأيك ؟

تردّدت لحظة ، ثم عادت تطلق ضحكة مرحة ، وهي

تقول :

— المشكلة أنني لا أجيد الرقص ..

قال في حدة أدهشتها :

— ومن قال إننى أجيد ؟

***** ٢٥ *****

ويبدو أنه قد تبّنه إلى جذته ، فاستطرد في تولُّد نشأ عن
محاولة إخفاء مشاعره :

— كلنا سنرقص .

هتف أحد الشبان في مرج :

— فكرة رائعة .

انخفض صوتها ، وتلاشى مريحها ، وهي تتمم :

— ولكنني لم أفعل ذلك من قبل .

أجابها في حدة :

— ولا أنا .

أدركت بهريزتها كأنني أنه يستكر رفضها لاقتراحه أمام
الآخرين ، ويوافق رفضها له ، حتى ولو غلّفت ذلك الرفض
بمرح رفيق ..

وخشيت أن تسوء إليه ..

وعلى شفيتها ارتسمت ابتسامة باهتة ، وهي تنهض قائلة :

— لا بأس — إنها تجربة جديدة على الأقل ..

بدا الظفر في وجهه « وارتسم مع ابتسامته على شفيتها ،

وهو ينهض معها ، قائلاً :

— نعم .. إنها تجربة جديدة .

تركه يحوى كفها الرقيقة في راحته ، ويقودها إلى خلية

***** ٢٦ *****

الرقص ، وراحت تشاركه تلك الرقصة السريعة في رشاقة ،
جعلته يهتف :

— عجباً !.. أتعدين أنك لا تجيدين الرقص ؟

أجابته مبتسمة :

— صدّقني .. إنها أول مرّة أرقص فيها .

هتف في ضحك :

— ولكنك تتحرّكين في رشاقة تامة .

أجابته مبتسمة :

— إنني أترك لجسدي حرية الاستجابة مع النغمات

الموسيقية .

هتف مشدوها :

— رائع .

انتهت الموسيقى السريعة مع هتافه ، وراحت الفرقة

الموسيقية تعزف لحناً هادئاً ، فتوقفت هي ، وغمغمت :

— أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى المائدة .

تجاهل قولها ، واقترب منها ليلتقط كفها اليسرى في

راحته ، ويحيط بحصرها بذراعه اليسرى ، ليشاركها تلك

الرقصة الهادئة ، فعقدت حاجبيها ، وهي تقول في حرج :

— لا يا (مجدى) .. لست أحب هذه الرقصات .

***** ٢٧ *****

أجابها في عشونة ، وكأنها يحاول إجبارها على الإذعان :
— أنا أحبها .
دفعته عنها في رفق ، وهي تقول في هدوء لا يخلو من
الحزم :
— لا يا (مجدى) .

عقد حاجيه في غضب ، وهو يقول في حدة :
— ولم لا ؟

قالت في حزم :

— لا وكفى .

ثم أضافت معاذرة :

— ألا بكفيك أننى قد شاركت هذه الرقصة ، على الرغم
من أن أحدا من زميلاقي لم تشارك زميلا أية رقصة ؟

قال في غضب :

— إنهن متخلفات .

قالت في ضيق :

— بل يخفن الإساءة إلى سمعتهم .

غمغم مخنفا :

— هراء .

أخرجها كثيرا ، عند عودتهما إلى المائدة ، أن رأت عيون

***** ٢٨ *****

زميلاتها تتطلع إليها ، وابتسامات زملائها تحمل همسات صامتة
خبيثة ، ولكن هذا لم يمنعها أبدا من أن تندمج معهم في بساطة ،
وأن تشاركهم مرح الحفل ..

أما (مجدى) ، فقد بقي صامتا ..

لم يكن من ذلك النوع الذى يمكنه كتمان مشاعره أو
إخفاءها ..

وكان ساخطا للغاية ..

ولم يحاول هي — من جانبها — تبادل الحديث معه ، حتى
انتهى الحفل ، وعاد الجميع إلى حجراتهم ..

لحظتها ظل هو جالسا في أحد أركان بهو الفندق ، فالتجهدت
إليه ، قائلة في همس خنون :

— أما زلت غاضبا ؟

غمغم في مكابرة :

— وماذا يفضبنى ؟

ربت على كتفه في حنان ، وهي تقول :

— أعلم أنك ساخط لأنسى لم أشاركك تلك الرقصة

المهذبة ، ولكننى لم أكن أستطيع .

سأها في حدة :

— لماذا ؟

***** ٢٩ *****

تردّدت لحظة في حياء ، ثم أجابته :

— لأن التقاليد تمنعني من أن أرقص وأنت تضمنني إليك .

قال في غضب :

— حتى ولو أردت أنا ذلك ؟

ابتسمت في هدوء ، وقالت :

— ألا يكفرك أنني قد رافقتك علانية .

قال في حدة :

— المفروض أن تستجيب لكل مطالبي .

قالت في هدوء حازم :

— إلا ما يتناقض منها مع التقاليد .

التفت إليها بهتة ، وأمسك كفيها بقبضته في قوة ، وتطلّع

إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول في الفعال :

— (إلحى) .. أريد أن أقتلك .

اتسعت عيناها في دُعر ، وتعلّصت من قبضته ، وتراجعت قائلة :

— لا يا (مجدى) .. لا تحاول حتى ذلك .

هتف ساخطاً :

— لماذا ؟ .. إننى أحبك .

أجابته معابة :

— وأنا أهدأ أحبك ، ولكن هذا لا يمنحك الحق —

***** ٣٠ *****

صاح في ثورة :

— خطأ .. إنه يمنحني كل الحق .

قالت في حزم ، وبلهجة من لا تقبل الجدل :

— ليس قبل أن تصبح زوجي .

صرخ :

— لست أنتظر نصائحك .

صمتت وهي تتطلّع إليه في دهشة ، ثم سأله في حزم صارم :

— هل فقدت وعيك يا (مجدى) .. إنك تصرخ بصوت

مرتفع ، والفندق صامت تماماً ، و

قاطعها صائحاً :

— قلت لك إننى في غنى عن نصائحك .

انعقد حاجباها في صرامة ، وهي تقول :

— حسناً .. سنؤجل ذلك لما بعد ، فلست أظنك تصلح

للتقاش هذه الليلة .

وأمام دهشته العارمة ، تركته صاعداً إلى حيث حجرها مع

إحدى زميلاتهما ..

ولم تدرك لحظتها أن هذه هي البداية ..

بداية النهاية ..

***** ٣١ *****

٤ — الشائعة ..

حاولت (إنجي) بصلابتها المعهودة نسيان أحداث الليلة الماضية تمامًا ، وهي تشارك زملاءها وزميلاتها تلك النزعة بين أعمدة الكرنك ، واحتفظت — كعهدها دؤومًا — باهتسامة متألقة ، وعينين ضاحكتين ..

ولكن الأمر كان شديد الصعوبة هذه المرة ..

لقد تعامل معها (مجدى) بجتهى الصرامة والحلّة ، ونجاهلها على نحو مشير للأعصاب ..

وفي الوقت ذاته كانت نظرات زملائه تحمل الكثير من الحُب والاثام والسُخرية ..

وكذلك نظرات زميلاتها ..

ولم تحمل (إنجي) تلك النظرات ..

لأول مرة في حياتها لم تحمل نظرات الآخرين ..

وفجأة ، استوقفت إحدى زميلاتها ، وسألها في جدّة :

— حسنًا .. لماذا يتعاشى الجميع هكذا ؟

*** ٣٢ ***

تطلّعت إليها زميلتها لحظة ، ثم عقدت حاجبها ، وقالت في صرامة :

— بسبب ما حدث ..

هفت مُخفّفة :

— وماذا حدث ؟

تأملت زميلتها ملاحظها لحظة ، ثم قالت في لحبث :

— أحقًا لا تعلمين ؟

لم تحمل (إنجي) هذا الأسلوب الملتوى السخيف ، فهتفت وقد فقدت — لأزل مرة — سيطرتها على أعصابها :

— أخبريني أنت ..

اعتدلت زميلتها ، وعقدت ساعدتها أمام صدرها ، وأطلّت من عينيها نظرة صارمة ، وهي تقول :

— لقد سمحت لـ (مجدى) بتقيلك في بهو الفندق ..

تراجعت (إنجي) كالمنصوفة ، وهي تهف في ارتياح :

— أنا ؟

أجابتها الزميلة في تحدّ :

— نعم .. أنت .. الجميع يعلمون ذلك ، ولا داعى

للإنكار ..

هفت (إنجي) في انبهار :

*** ٣٣ ***
[م ٣ — زهور (٤٠) بلا أمل]

— أنا سمحت لـ (مجدى) بتقبيل ١٩.. ولكن هذا مستحيل !!.. هذا لم يحدث !.. العكس تمامًا هو الواقع .
ابتسمت زميلتها في سُخرية ، وهى تقول :
— حقًا ١٩ ؟
أمسكت (إنجى) ذراع زميلتها ، وهى تهتف فى مرارة :
— أقسم لك إن هذا لم يحدث .. لقد حاول (مجدى) أن يقبلنى بالفعل ، ولكننى رفضت .
قالت الزميلة فى مزيج من الشك والسُخرية :
— رفضت ١٩ ؟
ثم أضافت فى خُبث :
— هذا لا يعينى على أية حال .. إنه شائنك .
هتفت (إنجى) :
— ولكنه يعينى أنا .
هزت الزميلة كتفها فى لامبالاة ، وهتفت بالانصراف ،
ولكن (إنجى) استوقفتها بصوت يحمل مرارة الدنيا كلها :
— أخبرينى أولاً .. من يردّد هذه الشائعة ؟
التفت إليها الزميلة ، وأجابتها بنبرة تفوح منها رائحة الشماعة :
— الجميع .

***** ٣٤ *****

رُدّدت (إنجى) فى ارتباك :
— الجميع ١٩ ؟
أومأت الزميلة برأسها إيجابًا ، وقالت :
— نعم .. الجميع .. فتيات وفتيان .
قالتا وانصرفتا ووجهها يحمل ابتسامة لا تتناسب أبدًا مع الموقف ، فى حين لم يحمل وجه (إنجى) سوى سُخُوب الموت ..
صفرة الألم والانكسار ..
وفجأة ، تلاشى كل ذلك من ملامحها ..
واستعادت صلابتها ..
إنها مجرد شائعة حقيرة ..
شائعة لا تستحق منها مجرد الحزن ..
وفى صرامة اندفعت تبحث عن (مجدى) ، ولم تكد تراه حتى أسرعته إليه ، وقالت فى نولر :
— (مجدى) .. أرايت ما فعلته بى ؟
سألها فى استهتار :
ماذا فعلت بك ؟
أجابته متوترة :
— لقد رآك أحدهم أمس ، وأنت تحاول تقبيل ، واساء فهم الموقف .

***** ٣٥ *****

هز كفيه في لا مبالاة ، وقال :

— وماذا في ذلك ■

هطت في دهشة واستكار :

— ماذا تقول يا (مجدى) ؟ .. إنها سمعتى .

أجابها في قسوة :

— وهل تهتك سمعتك إلى هذا الحد ؟

حدقت في وجهه في ذُهور ..

مستحيل أن يكون هذا هو (مجدى) ..

مستحيل أن يكون هذا هو الشاب الذى أحبه ..

الذى منحته حنانها ..

ولفتها ..

مستحيل !!

انهارت كل الثقة في أعماقها ..

تخبطت كل الأحلام ..

كل المشاعر الطيبة ..

ولدقيقة كاملة راحت تحلق في وجهه في ذُهور ..

ثم تكلمت ..

لم يكن ذلك الذى غادر شفيتها وحلقها ، هو ذلك الصوت

الذى تألفه ..

لقد كان آلات احتضار ..

احتضار حُب ..

وبتلك الأنات هطت :

أنت يا (مجدى) ؟ .. أنت تقول هذا ؟

لوح بذراعه كلها ، هاتفا في غلظة :

— الجميع يقولون هذا ..

غمضت في ألم :

— حتى أنت ؟

أجابها في صرامة :

— نعم .. حتى أنا ..

تجمدت في مكانها ..

لم تقو على تحريك قدميها خطوة واحدة ..

لحبل إليها أنها ستصاب بشلل تام لو فعلت ..

حتى هو ؟ ..

حتى الإنسان الذى أحبها ، والذى كان أقرب الجميع

إليها ، أماء الحكم عليها ؟

حتى هو ؟ ..

تركه يتعد عنها ، ويهر ..

تركه يهرب ..

ول مقلتها تجمدت دمة ..

دمعة ألم ومرارة ..

ولم تدر حتى كيف عادت إلى الفندق ١.

كيف قطعت تلك المسافة إليه على قدميها ١.

كيف حبست دموعها حتى أغلقت خلفها باب حجرها ١٢ ..

لم تدر إلا وهي ترقد على فراش الفندق ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، أطلقت لدموعها العنان ..

بكت بدموع من نار ..

بكت كما لم تبك من قبل ..

لم تبك من أجله ..

لم تفعل ، لأن عقلها كان يدرك أن شخصاً كهذا لا يستحق

البكاء ..

لقد بكت من أجل نفسها ..

من أجل هزيمتها في أول حب ..

وفي وسط دموعها ، دخلت إلى الحجرة زميلتها (فائق) ،

وهتفت في جزع :

— (إنجي) .. أبكين ١ ؟

أسرعت (إنجي) تحبف دموعها ، وهي تقول في مرارة :

— عجباً !! ألم تبلغك تلك الشائعة ؟

***** ٣٨ *****

جلست (فائق) إلى جوارها ، على طرف الفراش ،
وربّتت على كتفها في إشتاق ، قائلة :

— لقد بلغت كما بلغت الجميع .

هتفت في مرارة :

— ألم تصدقها ؟

أجابتها (فائق) في حزم :

— مطلقاً .

هممت (إنجي) في سخرية مرّة :

— ولماذا أنت بالذات ؟ .. لقد صدقها الجميع .

قالت في حياء :

— أنا أعرفك .. أنسيت أليس كذلك منذ الدراسة الابتدائية ؟

ثم أردفت في ضيق :

ثم إن (مهدي) هذا شخص حليز ، والجميع يعلمون ذلك .

هتفت (إنجي) في مرارة :

— لماذا صدقوه إذن ؟

أجابتها في أسف :

— لأن الناس في مجتمعنا يميلون عادةً إلى تصديق مثل هذه

الأمور .

هتفت (إنجي) في حدة :

***** ٣٩ *****

— لماذا ٢.. لماذا يميلون إلى تصديق الشرور ؟

رَبَّتْ (فاتن) على كفها مِرَّةً أُخْرَى مَشْفَقَةً ، وَهِيَ تَقُول :

— هذا دَاب كل المجتمعات الصغيرة والمخلقة .

هَبَّتْ (إنجي) من فراشها ، وَهِيَ تَقُول لى حَلَّة :

— لا بد من شرح الحقيقة لهم إذن .. سأجبر (مجدى) على

أن يشرح لهم ما حدث .

عَلَدَتْ (فاتن) حاجبيها ، وَهِيَ تَقُول لى ضيق :

— لن يشرح (مجدى) شيئاً .

هَتَفَتْ (إنجي) لى حزم :

— لا بد أن يفعل .

صَاحَتْ بِهَا (فاتن) :

— أقول لك مستحيل !

حَدَقَتْ (إنجي) لى وجهها بدهشة ، فَأَضَافَتْ لى ضيق :

— أنت لا تعلمين من أطلق هذه الشائعة .

وَصَمَّتْ لَحْظَةً ، ثُمَّ أَصَاحَتْ بِوَجْهٍهَا مَبْطَرْدَةً لى ألم :

— إنه (مجدى) نفسه ..

٥ — أحزان قلب ..

لا يمكنكم أن تتخيلوا مدى دهشتى العارمة ، عندما

علمت بتلك الواقعة ، بعد شهر كامل من حدوثها !..

بل لن يمكنكم أن تتصوروا مقدار ذهولى !..

لم يدهشنى أن (مجدى) قد تخلى عن (إنجي) ، فقد كنت

أتوقع أن يحدث هذا ، إن عاجلاً أو آجلاً ، لأن التناقض بين

شخصيتهما رهيب ، أشبه بتعايش الماء والنار ، أو امتزاجهما ،

حيث لا بد أن يقضى أحدهما على الآخر ، لو تقاربا طويلاً ..

لم يدهشنى الانفصال حقاً ..

ولم يدهشنى أسلوب (مجدى) الحقيق ..

لقد أدهشتى (إنجي) ..

أذهلنى تماماً — عندما علمت — أن الابتسامة لم تغارق

شفتيها ، والضحكة ظلت تعبت لى عينيها ، وكأن شيئاً لم

يحدث ..

تأكدت يوماً من أنها قوية فعلاً ..

إنها قادرة على إخفاء مشاعرها ذوقاً ، وهذه صفة نادرة ،
لا تنالها للكثيرين .

صفة تشق عن القوة .

لقد لاحظت بالطبع ، عند عودة الرحلة من (الأقصر)
و (أسوان) ، أن تباعداً واضحاً قد نشأ بيننا وبين
(مجدى) ، ولكنى عجزت ذلك — حينذاك — إلى خلاف
عادى بين الأحباء ، لن يلبث أن يزول ..
ولكن (مجدى) ارتبط بعد أيام بواحدة من زميلات
(المجى) ..

واختار صديقتها (سلمى) بالذات ، وكأنه بطعنها مخالاً
لفخراً بأنه يستطيع أن يوقع في حباله أصدق صديقاتها ..
وكان من الطيبي أن يؤلم ذلك (إنجى) كثيراً ، ولكنها
احتفظت — على الرغم من ذلك — باهتمامها ومرحها ،
لتهزم أسلوبه السخيف المتعاهل .
وتجاهلته بدورها تماماً .

والعجيب أنها ظلت تعامل (سلمى) بنفس الهدوء
والبساطة ، حتى أن (سلمى) نفسها لم تحمل هذا ، فهتفت
بها يوماً :

— ماذا تستهدفين بالضبط يا (إنجى) ؟

***** ٤٢ *****

رفعت (إنجى) حاجبها في دهشة ، وهي تسألها :
— ماذا تعنين أنت بهذا السؤال ؟

هتفت بها (سلمى) مُخَنِّقة :

— لا تحاولي التعاهل على إجابة سؤالى .. أنا أعلم جيداً
أنك تكرهينى « لأننى سلبتك الشاب الذى أحبه قلبك ،
فلماذا تصرين على استمرار العلاقة بيننا .

سألتها (إنجى) في هدوء :

— ولم لا ؟

صاحت (سلمى) :

— لأن هذا مستحيل .. مستحيل أن تشعر فتاة بالود نحو
أخرى سلبت أفتاها .

أجابتها (إنجى) في برود :

— هذا صحيح .

هتفت (سلمى) :

— أرايت أننى على حق ؟

قالت (إنجى) بنفس البرود ، الذى يحمل رلة كبرياء :
— هذا لو أنك سلبتنى فتى كما تقولين .

ابتسمت (سلمى) في عصبية ، وهي تقول :

— أتعنين أن هذا لم يحدث .

***** ٤٣ *****

أجابتها (إنجي) ، وقد تضاعفت نبرة الكبرياء في صوتها ،
فالتهمت برودة حروفه ، وأحالتها إلى حُمَمٍ ملتهبة :
— لست أحتاج حتى إلى الادعاء .. الجميع هنا يعلمون
أننى أنا تركت (مجدى) ، ولن يمتنى بعدها أن تتجه إليه
أخرى .

ثم مالت نحوها ، مستطردة في أسلوب واضح الاستغزازية :
— تمامًا مثل حذاء قديم ، بدأ يؤلم أصابعى ، فألقيته غير
هاكية ولا مبالية بأى قدم ترتديه من بعدى .

احتقن وجه (سلمى) في قوة ، وتحيل للجميع أنها
مستفجرة في وجه (إنجي) ، إلا أنها لم تلبث أن انخرطت فجأة في
بكاء حار ، وهى تهتف في مرارة :

— أنت .. أنت .. أنت

قاطعتها (إنجي) في برود :

— أنت أردت ذلك .

ثم رفعت رأسها في كبرياء ، وغادرت المكان في خطوات
هادئة والثقة ..

وتكشفت لي نقطة أخرى في صورة (إنجي) ، وبدأ لي
جانب آخر من جوانب شخصيتها ..

الكبرياء ..

وهناك فرق كبير جدًا ، بين التكبر والكبرياء ..

إن (إنجي) لم تكن أبدًا متكبرة ..

ولكنها ذات كبرياء ..

والعجيب أن هذا الكبرياء نفسه جعل (مجدى) يشعر

بعد فترة قصيرة بالندم على ما فعل ..

أو بالخجل مما فعل ..

لقد أدرك فجأة أنه لم يربح المعركة ..

لقد خسرها ..

خسرها بفداحة ..

انهزم في كل الجولات ..

نال كل الضربات ..

لقد أساء إلى (إنجي) دون مبرر ..

أساء إليها ، بمجرد أنها رفضت أن تمنحه ما ليس من حقه ..

أن تنهبه مالا يحق له أن يملكه ..

ثم إنه قد استبدل بها أخرى ، لا تملك نصف جمالها ..

أو حتى نصف شخصيتها ..

صحيح أنه مع (إنجي) كان يشعر بالضعف ..

ولكنه مع (سلمى) يشعر بالخواء ..

ولم يحتمل (مجدى) هذا الشعور

لقد هرع يوماً إلى (إنجي) ، والامتحانات على الأبواب ،
يبتف بها :

— (إنجي) .. أريد أن أتحدث معك قليلاً ..

قالتها متردداً ، خشية أن تستقبل كلماته في ازدراء أو
سخرية ، حتى أنه قد ارتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ،
عندما استقبلته بابتسامة هادئة ، وهي تقول في بساطة :

— كما تشاء يا (مجدى) .

أذهله ذلك في البداية ، ثم لم يلبث عقله النافذ أن تصور أن
أسلوبها الهادئ هذا يعود إلى رغبتها في العودة إليه ، فاستعاد
بعض لفته ، وهو يقول :

— هل تجلس في (الكافيتيريا) بعض الوقت ؟

أجابته في بساطة ، وابتسامتها الهادئة تتألق على شفيتها :

— لا بأس .

استعاد مزيداً من لفته بنفسه ، وهو يسير إلى جوارها في
فناء الكلية ، متجهين نحو قاعة (الكافيتيريا) ، ولم يكذب بتخذ
مجلسه معها ، حول مائدة خالية ، حتى كانت لفته قد بلغت
حداً لا بأس به ، وكان يبدو هادئاً بدوره ، وهو يقول :

— (إنجي) .. لقد أخطأنا بانفصالنا عن بعضنا البعض .

غمغمت في اهتمام :

***** ٤٦ *****

— حقاً ؟

أجابها في جدية :

— نعم .. كان من الخطأ أن تنفصل .

قالت في اهتمام متزايد :

— لماذا ؟

تطلع إليها في دهشة ، وهو يقول :

— لماذا ماذا ؟

سأته في فضول حقيقي :

— لماذا أخطأنا في انفصالنا ؟

ذهب الكثير من لفته بغتة ، وارتبك وهو يفهم :

— لقد أخطأنا بالطبع .

عادت تسأله في فضول يمتزج بالإلحاح :

— لماذا ؟

خاز في البحث عن جواب ، فقال في عصبية ، وهو يمشي

أن يفقده أسلوبها البقية الباقية من لفته بنفسه :

— لقد انفصلنا فحسب .

انهارت البقية الباقية من شظايا الثقة ، عندما تراجعت في

مقعدها في هدوء ، وارتسمت على شفيتها ابتسامة ساخرة ،

قائلة :

***** ٤٧ *****

— كنت أتوقع ذلك .

سأها في عصيئة وانفعال :

— كنت تتوقعين ماذا ؟

أجابته في لهجة هادئة ، تفوح منها رائحة مسخرة :

— كنت أتوقع أنك لا تعلم السبب .. كانت مجرد نزوة

ساذجة ، أردت أن تشبع بها غريزة الفئس في أعماقك .

هتف متخففا :

— ماذا تقولين ؟

أجابته في صرامة :

— الحقيقة .

أدهشته صرامتها الشديدة ، فراجع مبهوتا ، في حين

استطردت هي :

— أكنت تصور أنه من السهل أن أنسى كل ما فعلت في

دفعة واحدة هكذا ؟ .. أمّن السهل أن يتزع الإنسان خنجرا

من قلبه ، ويلقى به جانبًا ، ثم يمضي في حياته كما كان ؟ ..

لا يا (مجدى) .. إنك لا تعرف إذن أحزان القلب .. لم

تختبرها في حياتك كلها .. الأحزان أيها الشاب خناجر تظمن

القلب بكل قسوة ، وتسلبه الكثير من الدماء بلا رحمة أو

شفقة ، وجراح القلب لا تندمل أبدا .

غمغم في شخوب :

— العيين أنك ؟

قاطعت في حزم :

— لن أعود إليك أبدا .. نعم .. هذا صحيح .. الأحق

فقط هو من يلدغ من الجحر مرتين .

ونهضت قبل أن يضيف حرفًا ، مستطردة :

— الوداع يا (مجدى) .. الوداع .. بلغ تحياتي إلى

(سلمى) ..

وعندما انصرفت مرفوعة الرأس في كبرياء ، تاركة إياه

خلفها شاحبا متفقا ، كانت تشر في أعماق قلبها بشعور

جديد ..

شعور هو مزيج من الارتياح والظفر ..

ولحظتها فقط بدأت الجراح تندمل ..

وعظمت أحزان القلب ..



٦ — سنوات ..

خرجت (إنجي) من تلك المحنة أكثر قوة ، وأكثر لذة بالنفس ، وعادت تلك الضحكة في عينيها تشع جاذبية رائعة ، واستعادت كل حيويتها ونشاطها ، والسمت دائرة صداقاتها كثيرًا ، مع انتهاء سنتها الإعدادية بالكلية ، والدماجها مع أفراد دفعتها الصغيرة في كلية الصيدلة ..

ولسى الجميع ، أو تناسوا قصتها مع (مجدى) ، الذى لم يجد أمامه — بعد أن أبقن من استحالة عودتها إليه — سوى استمرار علاقته بـ (سلمى) ، التى لم تجد بدورها ردًا على عبارة (إنجي) ، سوى أن تواصل علاقتها به ..

وعادت (إنجي) تشع جاذبيتها على كل من حولها ، وتوطدت صلتها أكثر بزميلتها (فائق) ، على الرغم من اختلاف كليتهما ، وأصبحت الأولى تقضى كل وقت فراغها في كلية الطب ، مع الثانية ..

وذات يوم ، سألتها (فائق) :

***** ٥ *****

— استميدة أنت حقًا يا (إنجي) ؟

الطفت إليها (إنجي) بتلك العينين الضاحكتين ، وهى تقول :

— ولم لا ؟ .. لا يوجد ما يكدر صفو حياتى .

سألتها في خمرة واهتمام .

— عجبًا ! .. لماذا يُخجل إلى دوماً أن مرحك الشديد هذا

إنما يُخفى حزنًا دفينًا ؟

حدقت (إنجي) في وجهها لحظات في دهشة ، وأشاحت بوجهها مغممة :

— من منحك هذه الفكرة ؟

هزت (فائق) كتفها ، وهى تقول في هدوء :

— لا أحد .. إنه شعورى .

لبشت (إنجي) صامتة لحظات ، ثم اطرفت بوجهها

أرضًا ، وغمضت :

— شفقة أنت يا (فائق) .

ثم رفعت إليها عينين حزينتين ، مستطردة :

— أتعرفين ؟ .. لقد قرأت يومًا عبارة لواحد من أكثر أدباء

(مصر) شهرة ، قال فيها ، عن لسان أحد شخصيات

روايته : « أنا هو أنا .. دائمًا حزين . كل ما في الأمر أن تلك

***** ٥١ *****

الحجب الزائفة من المرح ، التي أکسبها نفس ، قد عجزت
اليوم عن سترها ، فبانت على حقيقتها .. عندما قرأت تلك
العبارة ، لحُلَّ إلى أن الكاتب قد استعار عقل لكتابتها ، وأنه
قد وصف مشاعري بكل الدقة .

هضت (فائن) في دهشة :

— مشاعرك أنت يا (إنجي) ؟ .. (إنجي) الشديدة
المرح ، التي لا تفارق الابتسامة شفيتها أبدا ، دائما حزينة ؟
أهذا معقول ؟

ابتسمت (إنجي) في حزن ، وغمغمت :

— بل هو المعقول نفسه .

اعتذلت (فائن) ، وهي تهف في دهشة :

— ولكن كيف ؟ .. ولماذا ؟

أطلقت (إنجي) زفيرة ، وبدت وكأنها تنطلق كالخم
المتنبه ، من بركان ثائر في أعماق صدرها ، قبل أن تخيب .
— أعلمين يا (فائن) .. على الرغم من كل هؤلاء
الأصدقاء ، الذين أحيط بهم نفسي ، إلا أن شعور الوحدة
لا يفارقني أبدا .

غمغمت (فائن) مشدوكة :

— الوحدة ؟

أومأت (إنجي) برأسها إيجابا ، وقالت :

— نعم يا (فائن) .. الوحدة .. قد يدهشك هذا ،
ولكنها الحقيقة ، فالوحدة ليست أن يُعاني الإنسان فراغ
الأشخاص من حوله ، ولكن أن يُعاني فراغ العقول ..
صحيح أنني محاطة بعشرات الأصدقاء ، ولكن ما من أحد
منهم يفهمني ، وما من أحد منهم يدرك حقيقة شخصيتي ..
معظمهم — إن لم يكن كلهم — ينظرون إلى كشخصية
متحررة أكثر من اللازم .

تتمت (فائن) :

— ربما كنت كذلك بالفعل .

تطلعت إليها في اهتمام ، وسألها :

— أهو رأيك أيضا ؟

تردّدت (فائن) في حرج ، ثم بدا وكأنها قد حسمت رأيا
لجأة ، عندما قالت في حزم :

— إننا في مجتمع شرقي يا (إنجي) ، وفي مدينة صغيرة ،
ذات طابع شبه ريفي ، وعلى المرء أن يحترم عادات وتقاليده
مجتمعه الصغير دوما ، وأنت تتجاهلين كل هذه العادات
والثقافة ، على نحو يبدو أشبه بالتحدي السافر ، فأنت
تحدثين مع أي شاب بكل بساطة ، وتضحكين للثككات في

صوت مرتفع ، ولا تمنعين في أن يدعوك أحدهم لتوصيلك إلى منزلك في سيارته .

أضافت (إنجي) في حزم :

— ويمكنني أن أدعوه لتناول شراب في منزلي أيضًا .

قالت (فائق) :

— هذا يخالف التقاليد .

هتفت (إنجي) في حدة :

— أهة تقاليد ؟ .. إنكم تخرجون بلا وعي ، بين تقاليد

الماضي وتقاليد الحاضر !! .. أهة تقاليد تلك التي تسمح لي

بالذهاب إلى الجامعة ، والاختلاط بزملاء وزميلات ، ثم

تمنعني من تبادل الأحاديث العادية مع هؤلاء الزملاء ، أو من

الضحك ، أو السماح لأحدهم بإيصالني إلى منزلي ؟ .. إنني لم

أرتكب أية أخطاء أخلاقية أو اجتماعية .. إنني أرتدي ذوقًا لثامًا

محشمة ، ولا أتفوه بكلمة واحدة خارجة عن قواعد الأدب

واللباقة ، فأية تقاليد تمنع ذلك .

قالت (فائق) في عناد :

— هكذا المجتمع .

صرخت (إنجي) :

— فليذهب هذا المجتمع إلى الجحيم ، مادام لا يتبع قواعد المنطق .

***** ٥٤ *****

عقدت (فائق) حاجبيها ! وهي تقول في صرامة :

— سيبقى المجتمع يا (إنجي) ، ولن يذهب إلى الجحيم بمجرد

أنك ترفضين اتباع قواعده .. سيبقى ويسير سلك أنت إلى

الجحيم .. افعل ما شئت — خالفني قواعد المجتمع ما شاء لك

عقلك أن تفعل ، ولكن ثقي بأن المجتمع لن يرحمك .. ولن

يفر لك أبدًا .

قالت في حدة :

— لقد نسي المجتمع شائعة (مجدى) .

هزت (فائق) رأسها نفياً ، وقالت :

بل تناساها ، وهناك فارق رهيب بين الحالتين ، فالنسيان

يعني أن الأمر قد غاب عن الذاكرة ، أما التناسى فمعنى أن

الأمر مودع في خزانة خاصة في الذاكرة ، على أهبة الاستعداد

للعودة ، وقتما يوجد محفز له .

عقدت (إنجي) حاجبيها أمام صدرها في حزم ، وهي

تقول :

— إنني لا أرتكب أية أخطاء .

قالت (فائق) :

— هكذا .. كيف تبررين تخلي (ماهر) عنك أيضًا ؟

ارتبكت (إنجي) ، وهي تقول :

***** ٥٥ *****

— (ماهر) .. هل أخبرك ؟

هزت (فائق) رأسها سلباً ، وقالت :

— لا .. إنه لم يجبر أحداً ، ولكن هذه الأمور لا تحتاج إلى من يُبلغها .. إنها دونما شديدة الوضوح .. لقد كنا نشعر جميعاً بأن (ماهر) غارق في خبث ، وأنه ينتظر اللحظة المناسبة ليصارحك بذلك ، فكما يقول الشاعر : « الصبُّ تفضحه عيونه » ، وحتى عندما همس لك (ماهر) ليطلبك بالجلوس معه وحدكما ، كنا نعلم أنه قد قرّر مصارحتك بحبه ، بعد أن أيقن من نسيانك له (مجدى) تماماً ، ولقد أسعدنى موافقتك على الجلوس معه ، فـ (ماهر) شاب ممتاز ، وسيصبح طبيب أسنان رائعاً ، ووالده واحد من أكثر أطباء المدينة شهرة ، وهو ثرى ، ومهذب ..

غمغمت (إنجي) في ضيق :

— ولكنه ضيق الأفق أيضاً ، لقد طلب منى إلا أصحاب فتياناً آخرين ، أو أسمح لأحدهم بإبصالي في مبارته .
رفعت (فائق) حاجبها ، وهى تقول :
— لقد طلب ما رأى أنه حقه فحسب .
هتفت (إنجي) :

— ولكنى لا أحتمل هذا .. لا أحتمل أى قيد على حُرّيتى .

***** ٥٦ *****

قالت (فائق) في حزم :

لا توجد حرّية مطلقة يا (إنجي) .. كل حرّية تحكمها قواعد وقوانين .. الحرّية المطلقة هى الفوضى .. كل الفوضى .

غمغمت في مرارة :

— ولكنى أكره القيود والأسوار .

قالت (فائق) في هدوء :

— حاولى أن تقبليهما ، كجزء من متاعب الحياة .

زفرت (إنجي) هائفة :

— لن أحتمل .

قالت (فائق) في صرامة :

— حاولى .

ثم أردفت في حزم :

— أرايت ماذا حدث ، عندما رفضت ذلك ؟ .. لقد وجد

(ماهر) أن حياتكما معاً ستكون مستحيلة هكذا ، فابتعد عنك ، وعن مجموعتنا كلها .. ولا تتصوّرى أنه شخص ضيق الأفق كما تظنين ، فكل رجل يرتبط بامرأة يطلب منها ذلك .. كل رجل شرقي يفعل ، لأن الدماء الشرقية فى أعماقه تجعله يصرّ على أن يكون أنثاه له وحده .

***** ٥٧ *****

تمت (إنجي) :

— أظن ذلك ؟

هتفت (فائق) :

— بل أوقن منه .

زفرت (إنجي) في جلد ، وقالت :

— ياله من مجتمع !

ابتسمت (فائق) في إلفاق ، وغمضت :

— سرعان ما تعتادينه .

ثم استدركت في حزم :

— لو حاولت .

لوححت (إنجي) بكفها في رأس ، وهي تنهد في عمق ،

وزان عليهما الصمت لحظات ، ثم قالت (فائق) في حنان

متعاطف :

— أتعلمين ما الذي ينقصك يا (إنجي) ؟

تطلعت إليها (إنجي) في تساؤل ، فأضافت :

— الحب .

هتفت (إنجي) في دهشة ، تحمل نبرة استكار متخاذلة :

— الحب ؟

أومأت (فائق) برأسها إيجاباً ، وقالت :

***** ٥٨ *****

— نعم يا (إنجي) ، ما ينقصك هو الحب .. لو أنك
أحييت شخصاً ما ، من أعماق قلبك ، فلن يؤذيك أن يطالبك
بالحد من جوارحك ، بل سيسعدك هذا .. سيسعدك أنه يهتم
بأمورك ، ويغار عليك .

خردت (إنجي) بصرها لحظات ، وغمضت :

— ربما .

وصمت لحظة في تردّد ، ثم غمضت :

— هناك شخص ..

بترت عبارتها بقتة ، فهتفت (فائق) تستحثها على المضى

في حديثها :

— شخص ماذا ؟

تردّدت (إنجي) بضع لحظات أخرى ، ثم قالت :

— إنه طالب بالسنة النهائية بكليتي .. وهو يميل إليّ ، و

فأطعها في لحظة :

— وماذا عنك ؟

تخضّب وجهها بخمرة خجل ، وهي تغمغم :

— أظنني أميل إليه أيضاً .

هتفت (فائق) في فرح :

— رائع .. لماذا لم تخبريني ذلك من قبل ؟

***** ٥٩ *****

تضاعفت حمرة الخجل في وجنتيها ، وهي تتمم :

— انظرت حتى أصبح والقة .

سألها (فائن) في لحظة :

— هل فاتحك في الأمر ؟

هزت رأسها نفياً ، وغمغمت :

— ليس بعد .

وأضافت في سرعة :

— ولكنه سيفعل .

وعادت دماء الخجل تغمر وجنتيها ، وهي تعيق :

— أعلم أنه سيفعل .

أطلقت (فائن) ضحكة مرحة ، وهي تهتف :

— يا له من خير !.. إنه أسعد خير سمعته منك .

ثم سألتها في فضول شديد :

— من هو هذا الشخص ؟

ابتسمت (إنجي) في حياء ، وهي تقول :

— (منير) .. (منير القصاب) .

هتفت (فائن) :

— (منير) ؟.. أنقصدين ذلك الصامت الوسيم ؟

أومأت (إنجي) برأسها إيجاباً ، فهتفت (فائن) :

***** ٦٠ *****

— وهل يعجبك حقاً ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

— إنه رصين وقور ، و

قاطعتها (فائن) :

— عل عكسك تمامًا .

ابتسمت في حياء ، مغممة :

— ألا توجد نظرية علمية عن تجاذب الأضداد ؟

ضحكت (فائن) ، قائلة :

— هذا صحيح .

ثم أضافت في سعادة :

— مبارك يا (إنجي) .. إنه شاب ممتاز .

غمغمت (إنجي) في خجل :

— لم يحن وقت التهنة بعد .

أجابتها (فائن) في حماس :

— سيحين عن قريب بإذن الله .

اكتفت (إنجي) بابتسامة هذه المرة ، وشرح عقلها

بعيها ..

هل يناسبها || منير || حقاً ؟ ..

إنه — كما قالت (فائن) — يتناقض معها في كل شيء ..

***** ٦١ *****

ولكن رصانته تروق لها ..

وصمته وغموضه يجذبانها ..

لرى .. هل تجد فيه ما افتقدته ؟ ..

لرى .. هل يجد قلبها مرساه في مرفأ قلبه ١٢ ..

من يدري ؟ ..

ربما ..



***** ٦٢ *****

٧ - الحب ..

حانت اللحظة ..

كانت تغادر إحدى حجرات الدراسة العملية ، عندما
وجدته أمامها ..

(منير ! بشحمه ولحمه ، يتطلع إلى وجهها بكل صمته
وهنوته ..

وارتبكت ..

ارتبكت كثيرا ، وهي تتطلع إلى عينيه ..

وظل هو غادنا صامتا ..

وبلا وعى ، وجدت نفسها تحديق في عينيه ..

تحديق في بحر غامض عميق ..

ولجأة ، ارتجف جسدها كله ..

ارتجف عندما قال في هدوء :

— آنسة (أنجي) ..

صمت لحظات ..

***** ٦٣ *****

عجز لسانها حقًا عن الكلام ..

كانت مبهورة ..

مأخوذة ..

مشدوذة ..

أهو الحب ؟

أ تلك العاطفة هي التي جعلتها تسمر هكذا ؟ ..

قبل أن يجيب عقلها السؤال ، أضاف هو :

— اسمي (منير) .. (منير القصاب) .

هتفت دون تفكير :

— أعلم ذلك .

تطلع إلى عينيها في دهشة ، فصاعدت حمرة الخجل إلى

وجنتيها ، وغمضت :

— أغني أنسى عرفت الآن .

ابتسم لي هدوء ، وقال :

— طالب في السنة النهائية .

ثم مال نحوها ، واستطرد في لهجة مهدبة :

— أسمحين لي بالتحدث إليك قليلًا .

غمضت في اضطراب :

— وحدها ؟

أدهشها أن ألقت هذا السؤال ..

أدهشها جدًا أنها قد فعلت ..

وضاعف هذا من كمية دماء الخجل ، المتصاعدة إلى

وجنتيها ، فابتسم هو لي ارتباك ، وغمغم :

— هل تسمحين ؟

تمتت :

— نعم .. لا بأس .

اصطحبها في هدوء إلى أحد الأركان ، وسألها على نحو

مباشر :

— أخبريني يا آمنة (إنجي) .. أأنت مرتبطة ؟

ارتبكت ، وهي تسأله :

— ماذا تغني ؟

ازدرد لقلبه ، وقال :

— السؤال واضح المعنى .

أجابته هذه المرة في وضوح وصراحة :

— لا .. لست مرتبطة بأحد في الوقت الحالي .

قال لي اهتمام :

— لست أغني الارتباطات الرسمية وحدها في الواقع ،

بل

قاطعة في سرعة :

— أفهم ذلك .

تطلع إلى وجهها لحظة في صمت ، ثم قال :

— حسنًا .. الواقع يا آنسة (إنجي) أنني .. أنني

صمت لحظة أخرى ليزدرد لغابته ، ويستجمع شجاعته ،

ثم قال :

— إنني معجب بك من زمن ، و

لم يم عباره ، ولم تطالبه هي بإتمامها ..

لقد فهمت ..

ولقد شرح هو كل شيء ، دون كلمات ..

وبكل سعادة ، اتسمت مغممة :

— هذا يسعدني .

هتف فرحًا :

— حقًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا في حياء ، فالتفت عيناه فرحًا ، إلا أن

وجهه لم يلبث أن استعاد رصانه ، وهو يقول :

— ولكن لدي عدة مآخذ على أسلوبك .

ضابقتها هذا ، فغممت :

— لماذا ؟

اعتدل قائلاً :

— الواقع أنني أؤمن تمامًا بأنك فتاة رائعة ، متحضرة ،

وأنت من أكثر فتيات المدينة مهديًا واحترامًا ، ولكن رأيي

وحده لا يكفي .

غمغمت :

— لماذا ؟

أجابها بنفس الرزانة والهدوء :

— لأننا نعيش في مجتمع .

قالت محاورة :

— لا ينبغي أن يمنعنا المجتمع من فعل ما نؤمن بصحته .

مجرد أنه يخالف تقاليد بالية .

أجابها في هدوء :

— ولكن من المحتم أن تبدو صورتنا جيدة أمام المجتمع .

قالت في حزم :

— هذا لا يعني .

أجابها في حزم مماثل :

— ولكنه يعني أنا .

حدقت في وجهه في دهشة ، فأضاف :

— إننا جزء من هذا المجتمع ، وليس من العليمي أن

تجاهل قواعده وقوانينه ، حتى ولو بدت لنا مخالفة للمنطق
وقواعد العقل ؛ لأننا — وبكل بساطة — نعيش في هذا
المجتمع ، ونعمل فيه ، ونعيش معه ، والمشكلة في كل
الأماكن والعصور ، هي أن تعامل المجتمع معك واحترامه لك
يرتبطان بنظرة إليك ، لا بنظرتك إلى نفسك .

قالت في الحفوت :

— حتى ولو كنت أنا على حق ؟

أجابها في حزم :

— حتى ولو كنت كذلك .

وانتظر لحظة ، ثم استطرد :

— ماذا عندما نفتح صيدلية مغاملاً ؟.. ألن يؤلر رأى المجتمع

لينا في عملنا ؟.. وماذا عن أطفالنا فيما بعد ، ونظرة المجتمع إليهم ؟

صدفني يا (إنجي) .. إنه أمر شديد الأهمية أن نرضي المجتمع .

صمت لحظات في ضيق ، ثم سأله في الحفوت :

— وماذا تطلب مني ؟

أدهشتها مطالبه غاماً ..

لقد كانت نفس مطالب (ماهر) بالضبط ..

لا ضحك بصوت مرتفع ، لا اختلاط زائد ، لا مصاحبة

للفتيان في سياراتهم ..

***** ٦٨ *****

وأدهشتها أكثر أن هذه المطالب لم تضايقها منه ..

لقد استقبلتها في بساطة ..

بل في طاعة مدهشة ..

ووجدت عقلها يتساءل في خيرة :

— أهذا هو الحب إذن ؟ ..

أجابها قلبها بخففة طرب ، جعلت جسدها كله يتلفظ في

نشوة ..

وفي عينيها تراقصت ضحكة سعيدة ..

وعلى شفيتها ارتسمت ابتسامة فرحة ..

وفي استسلام تام ، أجابته :

— حسناً .. كما تشاء .

أسعدته عبارتها ، ولهجتها المسلسلة ، فارتسمت على

شفته ابتسامة واسعة ، وغمغم :

— كم أنت رائعة .

لم تطرب في عمرها كله لعبارة ، مثلما طربت لعبارة ..

لقد رقص قلبها بين ضلوعها في سعادة غامرة ، وراحت

نفضاله تعزف لحن حب رالع ..

نعم ..

إنها تحبه ..

***** ٦٩ *****

إنها تحب ..

لأول مرة في عمرها تحب ..

ول طريق عودتها إلى منزلها كانت تسير في سرعة أشبه
بالعدو ..

وكانت شفتاها تحملان ابتسامة رائعة ..

ولم تغب تلك الفرحة عن شقيقتها الصغرى ، التي سألتها في
الحث :

— أهو حُبَّ جديد ؟

أطلقت (إنجي) ضحكة مرحة ، وهتفت :

— وهل كان هناك حُبَّ قديم ؟

قفزت شقيقتها إلى جوارها فوق الفراش ، وهتفت :

— أراهن أن لديك قصة رائعة .. هيا .. أخبريني بالأمر

كله .

ضحكت (إنجي) قائلة :

— أي أمر ؟

أجابتها شقيقتها (مروة) في حماس :

— لا تحاولي خداعى .. هذا الوجه المشرق ، وتلك

الابتسامة الصافية بحملان قصة .. هيا .. أخبريني .

ثم مالت نحوها ، مستطردة في اهتمام وفُضُول :

***** ٧٠ *****

— من هو ؟

ابتسمت (إنجي) في عجل ، وغمضت :

— (منير) .. (منير القصاب) .

هتفت (مروة) :

— (منير) ؟! أهو ذلك الطويل الصامت ؟

أومأت (إنجي) برأسها إيجاباً ، وهي تقول في هيام :

— إنه هو .

رذدت (مروة) خلفها ، مقلدة أسلوبها :

— إنه هو ..

ثم أطلقت ضحكة صافية ، مستطردة :

— إنك تنطقينها بلهجة لا تقبل الشك .

غمضت (إنجي) في عجل :

— كفى .

ابتسمت (مروة) ، وقفزت من فوق الفراش ، قائلة في

مرح :

— ومن لديه الوقت لمواصلة الحديث ؟ .. إننى على موعد

مع مصفّف الشعر ، لنح شعرى الجميل لوئنا آخر .

سألتها (إنجي) ضاحكة :

— أى لون ستمنعيه هذه المرة ؟

***** ٧١ *****

ابتسمت قائلة :

— الأشقر .. هل يروق لك ؟

أجابتها في حنان :

— أظنه سيناسب بشرتك .

قالت (مروة) في سعادة :

— و (هالي) يحبه أيضا .

عقدت (إنجي) حاجبها ، وهي تقول :

— أما زلت مرتبطة به ؟

اتسعت ابتسامه (مروة) ، وهي تميل نحوها ، قائلة في

سعادة :

— وهل للحب نهاية ؟

ثم أسرعته تغادر الحجرة في مرح ، وتركته (إنجي)

هائمة مع عبارتها ..

نعم ..

هل للحب نهاية ؟ ..

إنه وحده نهاية ..

نهاية لعذابات القلب وجراحه ..

يا إلهي !! كم تحب (منير) !! ..

كم تعشق هدوءه ورضائه ..

إنها تحب ..

تحب ..

تحب ..

حتى الكلمة لها رنين عذب في نفسها ..

كلمة الحب ..

راحت تردّد الكلمة في أعماقها في همس ، وسبغت

أحلامها مع عقلها بعيدا ، بعيدا ..

ولأول مرة منذ شهور نامت (إنجي) وهي تبسم ..

ولأول مرة في عمرها عرفت قلبها معنى الحب ..

معناه الحقيقي ..



٨ - سجن من ذهب ..

لم تحاول (إنجي) بالطبع إخفاء علاقتها به (منير) ، أو
خبايا له ..

كانت تحتفظ دؤماً بصراحاتها ووضوحها الفريدين ..

ولقد كانت أسعد أوقاتها هي تلك التي نقضها مع (منير) ..

ولم يغير هو من طبيعته الرصينة الهادئة أبداً ..

وبدلت هي أقصى جهدها للسيطرة على طبيعتها الجامحة ..

و ذات يوم التقيا ، واستقبلته بابتسامة تحمل كل لفتها ،

واستقبلها بابتسامته الهادئة ، وابتدرته هي قائلة :

— ما رأيك في رحلة إلى (الإسكندرية) ؟

أجابها بسؤال رصين :

— الآن ؟

هتفت في حماس :

— نعم .. الآن .. إنني أعشق (الإسكندرية) في هذه

الأيام ، مع نهايات الشتاء ، وبدايات الربيع .

***** ٧١ *****

سأها في هدوء :

— وماذا عن الامتحانات ؟

ضحكت في مرح ، وهي تقول :

— إنها رحلة رسمية ، ولمدة يوم واحد ، لقد أعدتها لجنة
الرحلات بالكلية .

صمت لحظات ، وكأنه يزن الأمر برصانته المعهودة ،
فهتفت به :

— هيا .. إننا نحتاج إلى شيء من التغيير .

ارتسمت على شفثيه ابتسامة باهنة ، وهو يقول :

— لا بأس .. متى تقوم تلك الرحلة ؟

أجابته في مرح :

— غدا صباحاً .

هتف مستكراً :

— غدا ١٢

أجابته في بساطة :

— نعم .. لا يوجد أجمل من الرحلات المفاجئة .

مطً شفثيه في ضيق ، وهو يقول :

— لست أميل إلى المفاجآت .

تهدت ، وقالت بلا مرح :

***** ٧٥ *****

— حسنا .. يمكنك أن ترفض .

تطلع إليها لحظات في صمت ، ثم ابتسم قائلاً :

— لا .. سذهب معاً .

صفت بكفيها في جذل ، وهي عتف :

— رالع .. سذهب معاً .

ثم مالت نحوه ، وشفتاها تحملان أكثر ابتساماتها جاذبية ،
وأردفت :

— ستكون رحلة رائعة .

ولكنها كانت مخبطة ..

لقد شاركها (منير) الرحلة ، دون أن يتغلى عن طبيعته
الصامتة ..

كان الصامت الوحيد في الرحلة ..

الوحيد الذي لم يشارك في اللهو والمرح ..

وحاولت (إنجي) أن تبقى إلى جواره صامتة ، ولكنها لم
تتحمل ..

وبسرعة فرّ المصفور الرقيق من قفصه ..

وانطلقت (إنجي) تصفق وتغنى ، وتشارك الجميع

مرحهم وفورهم داخل حافلة الرحلة ..

وانعقد حاجبا (منير) في غضب ..

***** ٧٦ *****

ولم يحاول منعها أو معاتبها ..

وعندما وصلت الحافلة إلى قصر (المتزه) - (الإسكندرية) ،

نجاهلها تماماً ، وذهب يجلس وحده بعيداً ..

ودون أن تنبه إلى غضبه ، أسرعته إليه تسأله :

— (منير) .. هل تشاركنا لمة الـ

قاطعها في صرامة ، قبل أن تتم عبارتها :

— لا .

لحظتها فقط تنهت إلى أنه غاضب ..

ولحظتها فقط نسيت كل شيء ..

كل شيء إلا هو ..

وغمغمت :

— هل ضايقتك ■

أجابها في حدة :

— رالع .. مالك من قوينة الملاحظة ! .. هل لاحظت ذلك

الآن ؟

اقتربت منه في مزيج أمومي رالع من الحنان والتعاطف

والأسف ، وهي تقول في همس :

— ماذا يفضيك ؟

هتف بصوت غاضب :

***** ٧٧ *****

— هل تسألين ؟

أدركت على الفور ما يعنيه ، فغمممت في تخاذل :

— إنها رحمة ، ولقد ظننت

قاطعتها في جملدة :

— ظننت ماذا ؟

غمست في أسف :

— تصورت أنه يمكننا أن نمرح قليلاً .

هتف متخففاً :

— وهل سألتني رأيي ؟

أطرفت برأسها في حزن ..

حبها منعها من أن تغضب ..

وهذا هو الحب ..

لو قال لها (مجدى) هذا للكلمة في أنه ..

ولو فعلها (ماهر) لألقت على مسامحة محاضرة في

التحضر والرقي ..

ولكن (منير) وحده فاتها دون أن يغضبها ..

وفي استسلام وانكسار ، جعلها تبدو أشبه بجملتها منذ

ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، غمممت :

— أنا آسفة .

هتف :

— وهل يكفى هذا ؟

سألته في أسف :

— وماذا يكفيك ؟

صمت لحظات ، وكأنها لم يكن يتوقع هذا الجواب ، ثم غمغم :

— لا شيء .

انتهت مناقشتها بهذا الرد المختضب ، وتوقفت (إنجي)

عن اللهو والمرح باقى الرحلة ..

وعاد المصفر إلى القفص ..

قفص الحب ..

وعندما زوت (إنجي) لصديقتها (فائق) هذا ، بعد

عودتها من الرحلة ، غمممت (فائق) في قلق :

— أهذا أسلوبه دوماً ؟

أجابتها (إنجي) بصوت خفيض ، وكأنها تحاول إخماد تبرير :

— أنت تعلمين أنه يميل إلى الرصانة ، و

قاطعتها (فائق) :

— أنت مقتعة بهذا ؟

تردّدت (إنجي) لحظة ، ثم غمممت :

— وهل من سبب آخر ؟

أجابتها (فائق) في صرامة :

— الرغبة في السيطرة مثلاً .

هتفت (إنجي) :

— لا .. (منير) ليس هكذا .

قالت لي حزم :

— هل يمكنك الجزم بذلك ؟

هتفت (إنجي) في سرعة :

— بالطبع .. إنه أكثر رصانة من أن

قاطعتها (فائق) :

— من قال إنه أكثر رصانة ؟

ارتبكت (إنجي) ، وغمضت :

— أنا .. وكل الناس تقريباً .

أجابتها (فائق) في صرامة :

— لا .. أنت وحدك تقولين هذا ، أما الآخرون ، فرايم

فيه أن صمته لا يعود إلى الرصانة ، وإنما إلى فراغ العقل .

هتفت (إنجي) في غضب :

— كفى يا (فائق) .. لست أسمع لك بهذا القول .

التبثت (فائق) إلى أن حُبَّ (إنجي) لـ (منير) كخيل

بمنعها من رؤية عيوبه تماماً ، فغمضت :

***** ٨٠ *****

— إنني لم أقصد .

ثم أضافت ، وهي تتطلع إلى (إنجي) في حنان :

— ولكنني أعشى عليك .

سألها (إنجي) في خيرة :

— من ماذا ؟

أجابتها مُشفقة :

— من القضبان يا (إنجي) .. من السجن الذهبي .

غمضت (إنجي) ، وقد تضاعفت خيبتها :

— أية قضبان ؟ وأي سجن ؟

أجابتها في تعاطف :

— القضبان التي يحبسك بها (منير) تدريجياً

يا (إنجي) .. قفص الحب الذهبي .

ثم تنهدت في عمق ، قبل أن تستطرد :

— إنك تمشيق حريتك يا (إنجي) ، ولكن حبك

لـ (منير) يجعلك لتتأزلين عنها تدريجياً ، حتى أنني أعشى أن

يأتي يوم يستيقظ فيه حبك للحرية ، فتجدينه قد أحاطك

بقضبان حبه وغيّره تماماً ، وعندئذ سيكون عليك أن تختار

بكل حزم ، ما بينه وبين حريتك .

تتمت (إنجي) في خوف :

***** ٨١ *****

— لست أظن الأمر يبلغ هذا الحد .

هزئت (فائن) كنفيا ، قائلة :

— من يدري ؟

ثم عادت تسألها في اهتمام :

— ولكن من ستختارين لو حدث هذا ؟

السمت عينا (إنجي) في هلع ، ولأذت بالصمت لحظات ،

ثم غمغمت في لحفوت ملثاع :

— لست أدري .. صدقيني .. لست أدري .

لم تكذب ثم عابرها ، حتى ارتفع رنين الهاتف على نحو

مباغت ، حتى أن جسد (إنجي) قد انتفض في شدة ، قبل أن

تقفز بدنها إلى سماعة فتزعها وتضعها على أذنها ، قائلة :

— من المتحدث ؟

أناها صوت كادت تنساه ، يقول :

— سمعت أنكما قد تشاجرتما .

لأذت بالصمت في دهشة وضيق ، حتى استورد صاحب

الصوت في لحفوت :

— ألم تعرفيني يا (إنجي) ؟ .. أنا (مجدى) .

وخفق قلبها في قوة ..

***** ٨٢ *****

٩ — المفاجأة ..

مضت لحظات لم تنطق فيها (إنجي) حرفا ، حتى سألتها

(فائن) في قلق :

— من المتحدث ؟

حلقت (إنجي) في وجهها لحظة في شرود ، ثم لم يلبث

حاجباها أن انعقدا في صرامة ، وهي تقول :

— ماذا تريد يا (مجدى) ؟

ارتفع حاجبا (فائن) في دهشة ، وهي تسمع الاسم ، في

حين أجاب (مجدى) غير الأسلاك :

— أردت الاطمئنان عليك فحسب ، فقد أخبرني أحد

الزملاء أنك قد تشاجرت مع (منير) في رحلة

(الإسكندرية) .

أجابته في صرامة :

— وماذا في هذا ؟ .. كل المحبين يتشاجرون ويتصافون .

ضغطت حروف كلمة (المحبين) وهي تنطقها ، فقال في ضيق :

***** ٨٢ *****

— محبُون ١٢.. أَحَقًّا يَا (إنجي) ؟

أجابته في بُرود استغرازي .

— أديك شك في أنني أحبه ؟

قال في مرارة :

— أليسيت حُبنا يا (إنجي) ؟

هتفت في دهشة :

— حُبنا ١٢.. عجبًا ١١.. كنت أظن أن جته قد تحللت في

قهره منذ زمن .

صاح :

— ولكنني ما زلت أحبك يا (إنجي) .. أحبك .

قالت في سُخْرة :

— هكذا ١٢.. وماذا عن (سلمى) ؟

هتفت في لُحْة .

— سأتركها هكذا لو أردت .

انعقد حاجباها ، وهي تقول :

— يا لك من وهد !

هتفت في دُخُول :

— أنا ؟

قالت في حِلَّة :

***** ٨٤ *****

— نعم أنت .. أنت وهد زيم حقير .

صاح ملثاعًا :

— (إنجي) .. ماذا تقولين ؟

أعادت السَّاعَة إلى موضعها في عنف ، فهتفت بها

(فائن) :

— يا للسَّخَافَة ١١.. هل يحاول ذلك الحقير إعادة علاقته

معك ؟

أجابتها (إنجي) في ازدراء :

— إنه واهم ، سخيف .. لقد تصوّر أن شجارًا بسيطًا

بينى وبين (منير) ، سيمنحه فرصة استعادتي .

انفجرت فجأة مستطردة في خنق :

— ألا يعلم أنني أرفضه .. حتى ولو كان الرجل الوحيد في

الدنيا !

غمممت (فائن) مشفقة :

— دُعُوك منه .

ثم استطردت في سرعة ، وكأنها تحاول نقل تفكير (إنجي)

إلى نقطة أخرى :

— أخبريني ، متى سيغدّم (منير) لِيخْطِيتِكَ .

ابتسمت (إنجي) في حياء ، وقالت :

***** ٨٥ *****

— بعد انتهاء امتحانات السنة النهائية ..

ابتسمت (فائق) في حنان ، وهي تقول :

— كم يسعدني هذا ..

هتفت (إنجي) :

— بل قولي كم يسعدني أنا .

وكانت تغني قولها بالضبط ..

لقد كان قلبها يرقص طرباً ، كلما اقترب موعد نهاية

امتحانات (منير) ..

وفي اليوم الأخير ، كان انفعالها يكاد يبلغ ذروته ، وهي

تنتظره أمام لجنة الامتحان ..

وفجأة ، سمعت إحدى زميلاتها تقول في توأمر :

— (إنجي) .. إنهم يطلبونك في حجرة رعاية الشباب .

انتابها قلق مفاجئ ، وهي تسألها :

— لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

تردّدت الزميلة لحظة ، ثم قالت :

— يبدو أنها محادثة هاتفية .

حدّقت (إنجي) في وجهها لحظة ، وكأنها تحاول أن

تستشف منها حقيقة الأمر ، ثم اندفعت نحو حجرة رعاية

الشباب ، وسألتها المشرفة :

***** ٨٦ *****

أأنت (إنجي سلماوى) ؟

أجابتها وقلبا ينبض في عصف :

— نعم .. أنا هي .

ناولتها المشرفة سماعة الهاتف ، وهي تقول :

— إنها مكالمة عاجلة من منزلك .

اختطففت (إنجي) سماعة الهاتف من يد المشرفة ، وقد

تضاعف قلقها عشرات المرات ، وراح قلبها يلفق في قوة

رهبة ، وهي تهتف :

— من ؟ .. من المتحدث ؟

أناها صوت شقيقتها (مَرْوَة) ، وهي تهتف :

— (إنجي) .. احضري على الفور .. أمي في غيبوبة ..

احضري بسرعة أرجوك .

انطلقت خارج الحجرة ، دون أن تنتظر بقية الحديث ،

وقلبا ينبض كالقنابل ..

أمها في غيبوبة ..

أمها الحبيبة ..

كم هو رائع حب الأبناء للآباء ..

لقد نسيت (إنجي) كل شيء ، عندما علمت أن أمها

مريضة ..

***** ٨٧ *****

نسيت (منير) ، والامتحانات ..

نسيت كل شيء ..

وانطلقت إلى خارج الكلية ، تبحث عن واحدة من
سيارات الأجرة ، تنقلها إلى منزلها بأقصى سرعة ..

وفجأة سمعت صوت (ماهر) يهتف :

— ماذا بك ؟ .. إنك تبدين في حالة زعج وقلق !

هتفت به :

— أمي في غيوبة ، ولا بد أن أعود إلى المنزل بسرعة .

هتف في جزع :

— أمك ؟

— ثم أمسك ذراعها ، مستطردًا في الفعل :

— أسرعي .. سأنقلك إلى هناك .

تبعته إلى سيارته بلا تفكير ، وانطلق هو بها إلى منزل أمها في

سرعة ، واتصل من هناك برأب والده الطبيب الشهير ، فهرع إلى
المنزل ، وبذل أقصى جهده حتى استعادت الأم وعيها ، فألقت

(إنجي) نفسها بين ذراعيها ، هاتفة :

— أمي .. أمي الحبيبة .. كم أوعيتي .

غمغمت أمها في وحن :

— لا عليك يا (إنجي) .. إنها وعكة بسيطة .

***** ٨٨ *****

أجاب والد (ماهر) في حزم :

— ولكنك تحتاجين إلى راحة تامة في الفراش ، لأسبوع

كامل على الأقل .. وتحتاجين أيضًا إلى حقنة (كورتيزون)
على الفور .

هبت (إنجي) هاتفة :

— سأذهب لإحضارها .

هبت (ماهر) خلفها ، قائلاً :

— سأوصلك إلى أقرب صيدلية .

صحبته إلى سيارته ، ولم يكذب بطلق حتى غمغمت :

— كيف يمكنني أن أشكرك يا (ماهر) ؟

أجابها في هدوء :

لا داعي لذلك . لم أفعل سوى واجبي .

ابتسمت في امتنان ، مغفمة :

— شكرًا لك على أداء واجبك .

أوقف سيارته خلف إشارة المرور الحمراء ، وهو يقول

دون أن يواجهها :

— أنت تعلمين أنني مستعد للدوران حول الأرض جريًا ،

استجابة لأقل نداء لك يا (إنجي) .

تمت ، وهي تتحاشى النظر إليه :

***** ٨٩ *****

— أعلم ذلك .

وفجأة تجمّدت الدماء في عروقها ، واحبس صوعها في
حلقها ، وكادت عيناها تقفزان من محجريهما ..
فأمامها ..

أمامها تمامًا ، وداخل السيارة التي تجاور سيارة (ماهر) ،
خلف إشارة المرور ، كان يجلس (منير) ..
وكان يحدق في وجهها مباشرة ، وعيناها تحملان انطباعين
ارتجف لهما قلبها تمامًا ..
الغضب ، و
والكراهية ..



***** ٩٠ *****

١٠ — انهيار ..

• لماذا ؟ .. •

شهقت (إنجي) بالعبرة ، وسط فيض من الدموع والألم
والقهر والمرارة ، وانتحبت في شدة ، وهي تهتف مستطردة :
— لماذا فعل لي هذا يا (فاتن) ؟ .. لماذا ؟

كان قلب (فاتن) يتمزق من أجلها ، وهي تحبها :
— مزيج من الغيرة والغضب يا (إنجي) .. لقد رأيك في
سيارة (ماهر) وحدكما ، ولم يحتمل هذا ، و
قاطعتها في انهيار :

— وماذا يا (فاتن) ؟ .. كان ينبغي أن يعرف السبب
أولاً .. لقد كنت مضطرة ، وأنت تعلمين ذلك ، ولكنه
يرفض الاستماع إليّ .. مجرد الاستماع ..

تمتمت (فاتن) :

— امتحيه بعض الوقت ، وقد

قاطعتها مرة أخرى :

***** ٩١ *****

— لا يا (فائن) .. إنه هذه المرة يختلف — يختلف
كثيراً .. أقول لك إنه يرفض مجرد الاستماع إلى ، ولقد
حاولت الاتصال به هاتفياً أكثر من مرة ، ولكنه يقطع
الاتصال ، فور سماعه صوتي .

وانخرطت مرة أخرى في البكاء ، مستطردة :

إنه يرفض أن يعرف السبب يا (فائن) .

بكى قلب (فائن) معها ، ودمعت عيناها وهي تشاهد
انهيارها لأول مرة ، ثم لم يلبث الحزم أن تفجر في نفسها ،
فقالت :

— سأحدث أنا إليه .

رفعت (إنجي) رأسها إليها في هفة ، وهي تهف :

— حقاً ؟!

نهضت قائلة في هفة حاسمة :

— نعم .. سأذهب إليه ، وسأشرح له كل شيء .

أمسكت (إنجي) يدها في قوة ، وهي تهف :

— (فائن) .. كيف أشكرك ؟ .. كيف ؟ .. إنك حقاً

صديقة مخلصة .

أجابتها (فائن) في إشفاق :

— المهم أن يستمع إلى يا (إنجي) .

***** ٩٢ *****

تهتفت بها (إنجي) في ضراعة :

— ابدلي أقصى جهدك يا (فائن) .. أرجوك .

تهتدت (فائن) في إشفاق ، وهي تغمغم :

— سأفعل يا (إنجي) .. أجدك أن أفعل ..

ولقد حافظت على وعدها ..

ولكن (منير) كان أشد صلابة من حالط الصلب ..

لقد رفض الاستماع إليها تماماً ، وهي تقول :

صحيح أنك رايتها في سيارة « ماهر » ، ولكن

قاطعها في حزم :

— لست أحب التحدث في هذا الأمر .

واصلت وكأنها لم تسمعه :

— لقد كانت أمها مريضة ، و

قاطعها مرة أخرى :

— لا داعي لأكاذيب سخيفة ، فلست بالفر الصادج ،

الذي يمكنه أن يصدق هذه الترهات .

عقدت (فائن) حاجبها في غضب ، وقالت في صرامة :

— من حسن حظك أنني هنا لأمر بخص (إنجي) ، فلو أن

الأمر يخصني أنا لندمت على أسلوبك هذا .

عقد حاجبيه بذوره ، وهو يقول :

***** ٩٣ *****

— ماذا كنت ستفعلين ؟ .. تضربيني ؟

قالت في حدة :

— ربما .

ارتسمت على شفاهه ابتسامة ساخرة ، فاستطردت في خنق :

— إنك تستحق الضرب في الواقع ، كأى طفل عبيد ،

فأنت ترفض الاستماع إلى ، وترفض الاقتناع بأن (إنجى)

كانت مضطرة لركوب سيارة (ماهر) ، وكأنك قد أصدرت

حكمتك مسبقاً ، في حين ينبغي للمحنيين دوماً أن

قاطعها في مزيج من السخرية والجدّة :

— أى محبين ؟

أجابته في تحدّ :

— أنتكر أنك تحب (إنجى) ؟

أجاب في برود :

— كان هذا فيما مضى .

هتفت به :

— كاذب — أنت تعاند وتكابر فحسب .

أجابها في لهجة أقرب إلى الشماتة :

— أتراهنين ؟ .. إننى أقول لك إن كل ما بينى وبين

(إنجى) قد انتهى ، وأنا أغنى ما أقول تماماً .

***** ٩٤ *****

تخبط وجه (فائق) ، وهى تقول :

— هل ستغلى عنها ؟

أجابها في صرامة شامخة :

— لقد فعلت بالفعل .

رأى الصمت لحظة ، وعقل (فائق) الداهل يحاول

استيعاب الأمر ، قبل أن تغمرهم في تولر :

— اسمع يا (منير) .. ليس من السهل أن يتغلى محب عن

محبوبته على هذا النحو .

أجابها في برود :

— يمكنك أن تبدى في تغيير فكرتك الآن .

رأى عليهما الصمت لحظات أخرى ، و (فائق) تحدق في

وجهه ذاهلة ، ثم لم تلبث ملاحظتها أن حملت مزيجاً من الغضب

والحزم ، وهى تقول :

— أهذا قرارك النهائي ؟

أجابها في صرامة :

— وبلا أدنى تردد أو تراجع .

انعقد حاجباها في شدة ، وهى تقول :

— في هذه الحالة يمكننى أن أخبرك برأى ليك بكل صراحة

أيها المفرور .

***** ٩٥ *****

حذق في وجهها ، وقد أدهشه هجومها المفاجئ ،
فاستطردت في حدة :

— إنك لم تحب (إنجي) أبدا .. نعم ... هذه هي الحقيقة ..
إنك مجرد شاب تاله مفرور ، زأقت لك واحدة من فتيات
الكلية ، ففكرت إليها ، وحاولت أن تفرض عليها سيطرتك ،
وأن ترؤس الجواد الجامع في أعماقها ، وعندما منحتك هي
الفرصة للنجاح في ذلك ، تضاعف غرورك ، وزحمت تمارس
معه كل أساليب السيطرة السادية .. ثم حان الموعد المناسب
لترتبط بها رسميا ، وعندئذ ظهرت حقيقتك .. إنك جبان ..
أجبن من أن تحمل مسؤولية كهذه .. مسئولية حياة وارتباط ..
وهكذا انتظرت أول فرصة لاحتم بالالتق ، وأنهيت علاقتك بها .
هتف في غضب :

— لست أسمح لك ..

قاطعته في صرامة :

ليس من حقك أن تفعل .. إنني أقول ما يحلو لي .
قال في حدة :

— سأغادر المكان إذن .

أجابته في ازدراء :

— افعل .. ولن يدهشني هذا ، فلقد صار الفرار ذأبك .

***** ٩٦ *****

وماها بنظرة تحمل كل الغضب ، واندفع مغادرا المكان في حدة ..
وبقيت (فائق) ..

وبقي أمر إبلاغ (إنجي) ..

وكانت هذه أشق مهمة واجهتها (فائق) في حياتها ..

لقد استجمعت كل شجاعتها لتخبرها ..

وتجمدت الدموع في عيني (إنجي) ..

تجمد نبض قلبها بين ضلوعها ..

والسمت عيناها في دُحول ..

في هلع ..

في استكار ..

ثم هتفت فجأة :

— لا ..

سألتها (فائق) في دهشة :

— لا .. ماذا ؟

أجابتها في حزم :

— لا .. لن يتركني (منير) .. إنه يحبني .. أنا أعلم

ذلك .. من المستحيل أن يلدغي شعوري .. إنه يحبني .. إنه

فقط يعاقبني على عدم طاعتي له .

غمغمت (فائق) مشفقة :

— (إنجي) .. (منير) ليس ذلك الذي تظننه .. إنه

***** ٩٧ *****

قاطعتها في حدة :

— أقول لك لا .

ثم نهضت من مقعدها ، مستطردة في حزم :

— سيعود (منير) .. أنا أعرفه .. إنه شديد العناد ،

صعب المراس ، ولكنه يحبني .

زفرت في قوة ، قبل أن تستطرد :

— سيعيده الحب .

غمغممت (فائق) :

— (منير) لن يعود يا (انجي) — إنه لا يحب سوى

نفسه .. مصلحته تعلو فوق كل شيء .

هتفت في انبهار :

— لا .. لا تقولي هذا .

وشردت بصرها في الأفق ، وهي تستطرد في حزم :

— سيعود .. أنا والقة من هذا .

ولكن ضربة القدر كانت قاسية للغاية هذه المرة ..

إن (منير) لن يعود ..

لن يعود ؛ لأنه لم يعل لها ..

لقد علمت ذلك عندما جاءها الخبر ..

خبر خطبة (منير) ..

***** ٩٨ *****

١١ — العمر ..

أعوام مضت منذ هذا التاريخ ..

أعوام عديدة ..

أعوام تبدلت فيها كل الأمور ، ووضع الزمن بصماته على

الأشخاص والأحداث ..

ولعل القارئ يتساءل : لماذا اكتفى بهذه العبارة ، مادام

الزمن كبيراً إلى هذا الحد ؟ ..

وهو على حق ..

وأنا أيضاً على حق ..

القارئ على حق ؛ لأنه — كالمعتاد — يرغب في معرفة كل

التفاصيل ، ويخشى دوماً — لو تجاوز فترة زمنية طويلة — أن

تفوته بعض الأحداث ، أو يفقد التتابعات ..

وأنا على حق ؛ لأنني لست مؤرخاً ..

وإنما أنا كاتب وروائي ..

والروائي يختلف عن المؤرخ في أنه لا يهتم بكل الأحداث ،

وإنما بالأحداث المؤثرة في المحيط الروائي لروايته فحسب ..

***** ٩٩ *****

ولا علاقة للزمن بالأحداث ..

قد يحفل يوم واحد من عمر الإنسان بعشرات الأحداث ..

ثم تمض عشرات الأعوام بلا حدث واحد ..

تمضى رتيبة تقليدية ..

أو قد تكون هناك أحداث ، ولكنها أبسط من أن يشملها السرد ..

أو أضعف من أن تؤثر في البناء الروائي نفسه ..

ولكنني لن أتجاوز — أيا كانت الأسباب — هذه الأعوام هكذا ..

لقد حدث فيها الكثير ، مما ينبغي ذكره لا سرده ..

لقد ارتبط (منير) بالخطبة مع زميلته (منى) ، وسافر للعمل في إحدى دول الخليج ، ثم عاد ليفتح صيدلية صغيرة ، في قرية مجاورة لمدينتنا ، وبعد الغدّة لزفافه على خطيبته ..

وعجز (مجدى) عن الاستمرار في علاقته بـ (سلمى) ، فالفصلا ، وتزوجت هى ، في حين بقى هو — حتى لحظة كتابة هذه السطور — بلا رفيق أو ارتباط ، وما يزال — حتى الآن — يحاول توطيد علاقته بـ (إنجي) مرة أخرى ..

أما (إنجي) ، فلقد تجاوزت الصدمة ، وعادت إلى

***** ١٠٠ *****

حيويتها ونشاطها ، وعادت تحمل الابتسامة على شفتيها ، والضحكة في عينيها ، ولكنهما كانتا مجرد قناع سيميك هذه المرة ..

ولها عذرها ..

إنها بشر من لحم ودم ، ومشاعر وأعصاب ..

لقد حفرت الأيام والآلام بصماتها في أعماقها ..

وتبدل الكثير من شخصيتها ..

وبكل نهم ، اتجهت إلى التدخين ، وكأنها تحرق جراحها

وتنفثها مع دخان سيجارها ..

ولأول مرة في حياتها تخفى (إنجي) أمرا ..

لم تكن تدخن سيجارها أبدا على الملأ ..

ولا حتى في المجتمعات شبه المغلقة ..

لقد كانت تنفث توثرها كله في منزلها ، وعندما تكون

وحدها ..

وتخرجت (إنجي) ..

أصبحت صيدلانية ..

وتزوجت أختها الكبرى (إلهام) ..

وبعد أيام من زواج (إلهام) ، تقدّم (محمد) بخطب

(إنجي) ..

***** ١٠١ *****

من (محمد) هذا ١٢ ..

أقلت عليها (فائق) السؤال في دهشة ، فارتسمت
اهتسامة باهتة على شفتي (إنجي) ، ونفثت دُخان سيجارها في
هدوء ، وهي تقول :

— مجرد شاب .

هتفت (فائق) :

— مجرد شاب ١٢ .. أهذا معقول ؟ .. أهذا كل ما تعلمينه

عن شاب تقدم لخطبتك ؟

هزت (إنجي) كفيها في لامبالاة ، وهي تقول :

— إنه مهندس معماري ، يعمل في إحدى دول الخليج ،

ولقد تقدم لخطبتي عن طريق قريبة لي ، و

قاطعتها (فائق) في مزيج من الدهشة :

— أنت يا (إنجي) ١٢ .. أنت تتزوجين بهذه الوسيلة .

صمتت (إنجي) لحظة ، وهي تنفث دُخان سيجارها ، ثم

عادت تهر كفيها ، مغمضة في استسلام :

— ولم لا ؟

والتقطت أنفاس سيجارها مرة أخرى ، وهي تستطرد :

— إنه شاب جيد على أية حال ، وما دمت لست مرتبطة

بآخر ، فما الضير من الموافقة .

***** ١٠٢ *****

هزت (فائق) رأسها غير مصدقة ، وهي تغمغم :

— لم أتصور أبدا أنك ستزوجين بهذا الأسلوب .

تتمت (إنجي) في سُرود :

— لم يقل هناك سواه .

غمغمت (فائق) :

— كنت أتصور أنك ستزوجين عن حُب ، و

بدت المرارة في عيني (إنجي) ، إلى حد جعل (فائق) لير

عبارتها بغتة ، وتغمغم :

— لم أقصد ذلك ، ولكن

قاطعتها (إنجي) :

— أنت تعلمين أنني قد حاولت .

وتقاطرت المرارة مع حروف كلماتها ، وهي تستطرد :

— وفشلت ..

لحظتها شعرت (فائق) بما تُعانيه صديقة عمرها ..

ولحظتها وافقت على زواجها من (محمد) .

وفي حفل الزفاف ، زفاف (إنجي) إلى (محمد) .

تراجعت موافقة (فائق) في أعماقها في سرعة ، وحل محلها

الكثير من القلق ..

صحيح أن (محمد) لم يكن سخيًّا أو قبيح المظهر ، ولكن

***** ١٠٢ *****

أمرته كانت تبدو متناقضة تمامًا مع أسرة (إنجي) ، مما يبعث
الخوف من أن استمرار أو نجاح هذه الزيجة أمر عسير للغاية ..
كانت أسرة (إنجي) كماداتها ، بسيطة ، متفتحة ،
يتصرف الجميع فيها في مرح وتلقائية ، في حين كانت أسرة
(محمد) على العكس تمامًا ، مغلقة ، يطل الحذر والشك من
وجوه جميع أفرادها ، ويتصرف كل منهم بأسلوب شديد
التعقيد والافتعال ..

ومنذ ليلة الزفاف ، أدركت (فائق) أن هذه الزيجة غير
متكافئة ..

و (فائق) لم تؤمن أبدًا بالزواج غير المتكافئ ..
لم تقنع أبدًا بما تخرج إلينا به أفلام السينما ، عن زواج السيد
بخدمته ، أو الخادم بسيدته ، أو زواج شديد الثراء من فقيرة ،
أو العكس ..

وفي حفل الزفاف ، كانت ترى متناقضين يمتزجان ..
وكانت تخشى هذا الامتزاج ..
أما (إنجي) نفسها ، فقد حملت نفس الابتسامة المشرقة ،
ونفس العيون الضاحكة ، ولكن دون حياة هذه المرة ..
كانت أشبه بممثل يؤدي دوره الذي اعتاد تأديته ، أو الذي
لم يرضه تمامًا ..

وتزوجت (إنجي) ..

تزوجت على نحو لم يتوقعه لها أحد ..

وعلى الرغم من قلق (فائق) الشديد عليها ، وعلى الرغم
من عدم موافقتها على هذا التناقض بين العائلتين ، إلا أنها كانت
تسهر بشيء من الارتياح ، لأن (إنجي) قد تزوجت ، وبدأت
حياة الاستقرار ..

ولكن هذا الارتياح لم يكن له ما يبرره في الواقع ..
ف (إنجي) لم تبدأ حياة الاستقرار بهذه الزيجة ..
بل على العكس ..

لقد ودّعت حياة الاستقرار ..
ودّعتها إلى الأبد ..



لم يمض شهر واحد على زواج (إنجي) ، حتى تحققت مخاوف (فائق) ..

وبرز الخلاف على السطح ..

الخلاف بين متناقضين ..

كل شيء في الأسرتين كان يتناقض مع مثله في الأخرى ..

وحتى (إنجي) و (محمد) ، كان اتفاقهما متحولاً

تقريباً ..

ونشأ سوء الفهم من التناقض بسرعة ..

أسرة (محمد) راحت تعبر (إنجي) امرأة مستهتره بلا قيم ،

وخاصة مع تدخلها للسجائر ، ومرحها الزائد ..

وأسرة (إنجي) اعتبرت (محمد) شخصاً مغلقاً للغاية ..

وبدأت أسرة (محمد) تقارن أسلوبها للضغط على

(إنجي) وترويضها ، وفهر طبعها المنطلقة ..

وقاومت (إنجي) ..

قاومت في البداية بأسلوب مهذب هادئ ، لم يلبث أن استحال إلى نوع من الإصرار والعناد ، ثم تفجّر ذلك فجأة كالقنبلة ..

انفجهر الموقف في سهرة عائليّة ، ضمت (إنجي)

و (محمد) ، بعد عودتهما من إحدى القرى السياحية ، في

منزل (نادين) شقيقة (محمد) ، التي راحت تتطّلع إلى

(إنجي) في بُرود ، ثم قالت :

— أظن أنه قد حان الوقت لترتدى ثوب الزوجة

يا (إنجي) ..

سألها (إنجي) في دهشة :

— ماذا تعنين ؟

أجابها في بُرود صارم :

— أعني أن عبث المراهقة هذا لم يعد يليق بك ..

هتفت (إنجي) في دهشة واستنكار :

— عبث المراهقة ؟ .. ماذا تعنين بقولك هذا ؟

أجابها في سُخْرية :

— أعني أن تلك السخافات ، والاستهتار ، و

قاطعتها (إنجي) في حدة :

— أية سخافات ، وأى استهتار ؟

أجابتها في صرامة :

— أنت تعلمين كيف كانت حياتك قبل الزواج .

احتقن وجه (إنجي) ، وقالت :

— اسمي يا (نادين) .. لقد قضيت حياتي كلها على نحو

سليم .. لم أعطى ولم أخدع أو أخالف قواعد الأدب ..

غمغمت (نادين) في سُخْرية :

— حقاً ؟

صاحت بها (إنجي) :

— ماذا تعين ؟

هزت (نادين) كتفها ، وهي تقول في لُحْث :

— كل امرئ يدرك حقيقة نفسه .

ازداد احتقان وجه (إنجي) في شدة ، وأدهشها أن زوج

(نادين) قد جلس صامتاً ، منكشاً في مقعده ، وكأنه يمشي

زوجته ، فالتفت إلى (محمد) ، وقالت في حدة :

— هل تسمح لشقيقك بهذا ؟

أجابها في بُرود :

— لست أميل إلى التدخل في الأمور النسائية .

هتفت مستكرة .

— أمور نسائية !؟ .. إن شقيقك تهنى أخلاقاً .

***** ١٠٨ *****

أشاح بوجهه عنها ، دون أن يضيف حرفاً ، في حين قالت
(نادين) في لهجة ساخرة ظافرة ، شامته :

— أنت تعلمين ما كان الناس يتناقلونه عنك .

شعرت (إنجي) بصدمة قوية في أعماقها ..

لم تدرك لماذا تابادرها شقيقة زوجها بالمعجوم على هذا النحو ..

ولم تفهم سرَّ عُرُوف زوجها عن رد شقيقته ..

ولكنها أدركت شيئاً واحداً ..

أدركت أنها معركتها وحدها ..

أدركت أن الجميع قد تخلَّوا عنها ، وإن عليها أن تخوض

حربها بمفردها ..

ولم يفت هذا في عضدها ..

لقد منعها — على العكس — قوة وحزماً ..

ومنعها الحزم والقوة بروذاً وصلابة ، وهي تقول :

— لماذا طلبتم يدي لشقيقك إذن ؟

أجابها (نادين) :

— كنت تُروِّقين له .

أطلقت (إنجي) ضحكة ساخرة ، وقالت :

— هكذا .. مثل أي طفل راقى له لعبة ، فابتاعها له

والداه ، حتى ولو كانت معطوبة .

***** ١٠٩ *****

رفعت (نادين) إحدى حاجبها ، وهي تقول :

— معطوبة ١٢ .. نعم .. هذا هو المصطلح الصحيح .

مالت (إنجي) نحوها ، وهي تقول في هدوء :

— ألعلمين ما هو الشيء المعطوب هنا ؟

لم تنبس (نادين) بنب شفة ، وهي تطلع إليها في برود ،

فأضافت (إنجي) وهي تبسم :

— عقلك يا عزيزتي .. عقلك هو الشيء المعطوب هنا .

انعقد حاجبا (نادين) في غضب ، وهتف (محمد) :

— (إنجي) .. حذار .. لن أسمع لك

فأطعته هادئة :

— لن تسمح لي ١٢ .. يا للمهزلة !!! إذن فأنت لا تجد

غضاضة في التدخل في الأمور النسائية ، عندما تكون شقيقتك

هي الطرف المصاب فيها ، أما عندما يتعلق الأمر بزواجك

فأنت أكبر من ذلك .

هتف في حدة :

— كفى يا (إنجي) .

صاحت به :

— لا يا (محمد) .. لن أكف عن رد الإهانة أبدا .. إن

شقيقتك تطعنني في شرف وأخلاق أمامك ، دون أن تحرك

***** ١١٠ *****

ساكننا ، ثم إذا بك تتحول فجأة إلى لث ضرغام ، عندما

أحاول أنا الدفاع عن نفسي .

انعقد حاجبا في شدة ، وهو يقول :

— أنت غير مهذبة .

غمغمت شقيقته في منغرية :

— وماذا كنت تتوقع ؟

هتفت بها (إنجي) :

— أطبق أسنانك على لسانك أيتها الحية الرقطاء ، وإلا

نزعته من حلقك ، وألقيت به طعاما للكلاب ..

وتفجّر الموقف في شدة ..

لقد بدأت الحرب ..

ولفح الجميع أبوابه ..

ولم يكن ذلك الموقف ، في منزل (نادين) ، سوى بداية

لمركة بين أسرتي (إنجي) و (محمد) ، انتهت بأن لا ذات

(إنجي) بمنزل والديها ، وأصرّت على عدم العودة إلى

منزلها ..

وهرعت إليها (فائق) ، فور علمها بما حدث ، وأدهشها

أن وجدت هادئة للغاية ، على الرغم من الموقف ، فهتفت بها :

— ماذا حدث يا (إنجي) ؟ ..

أجابتها (إنجي) في هدوء ، لا يخلو من الحزم :

— لن أحتمل هذه العائلة يا (فائق) .

غمغمت (فائق) في إشفاق :

— كان هذا واضحاً يا (إنجي) ..

ثم سألتها في اهتمام :

— ولكن ما موقف (محمد) ؟

أجابتها باختصار شديد :

— حقير .

ضايق المصطلح (فائق) ، لتقديرها الشديد — بحكم

دعائها — لاسم (محمد) ، فغمغمت :

— ليس إلى هذا الحد .

أجابتها (إنجي) في حزم :

— بل هو كذلك .

قالت (فائق) محاولة تهدئتها :

— إنه زوجك على أية حال .

قالت في صرامة :

— ليس بعد .

سألتها (فائق) في جَزَع :

— ماذا تفنين ؟

أجابتها في حزم :

— لقد طلبت الطلاق .

هتفت (فائق) :

— الطلاق ؟ لا يا (إنجي) — لا ينبغي أن تصل

الأمور أبداً إلى هذا الحد .

تطلعت إليها (إنجي) في دهشة ، وهي تقول :

— لا ينبغي ؟ ما هو الذي ينبغي إذن ؟ .. أن أحيا

عمرى كله مع شخص أبغضه ؟ لا يا (فائق) .. لقد

عشت حياتي كلها واقعية منطقية ، وأعترف بأن الخطأ الوحيد

في حياتي هو زواجي من (محمد) ، ومن حسن الحظ أن

إصلاح هذا الخطأ أمر هين .

قالت (فائق) في أسف :

— ولكنك لا تدريين ما معنى الطلاق في مجتمعنا هذا

يا (إنجي) .. إننا مجتمع لم ينضج بعد .. مجتمع تقاليد بالية كما

تقولين ، ولكن الجميع ينحنون أمامها في استسلام تام .

قالت في عناد :

— فليذهب المجتمع إلى الجحيم .. لن أتنازل عن حريتي

هذه المرأة أبداً .

في هذه اللحظة دخلت (مروة) شقيقة (إنجي) إلى
الحجرة ، وغمغمت في تردد :

— (إنجي) .. هناك ضيفة تطلب رؤيتك .

سألها (إنجي) في هدوء :

— من هي ؟

تردّدت (مروة) مرّة أخرى ، ثم قالت :

— (نادين) .

حدّقت (إنجي) في وجهها في دهشة ، قبل أن تبأها :

— (نادين) من ؟

كان السؤال يبدو بلا معنى ، ولكن (مروة) أجابت في

خفوت :

(نادين) أخت (محمد) .

زان الصمت لحظات ، و (إنجي) تحدّق في وجه شقيقتها ،

قبل أن يتعقّد حاجباها في حدة ، وهي تقول :

— اطرديها .

هبت (فاتن) قائلة :

— لا يا (إنجي) .. لا تفعل .

هتفت (إنجي) في حدة :

— سأفعل كل ما يحلو لي ، لن يسلمني أحد حرّيتي بعد الآن .

***** ١١٤ *****

رثت (مروة) على كنفها مهدئة ، وقالت :

— لا عليك يا (إنجي) .. سأطلب منها الانصراف ، و ..

قاطعها صوت (نادين) ، وهي تقول :

— سأنصرف يا (مروة) ، ولكن بعد أن أخبر (إنجي)

ما لدي .

التفت إليها (إنجي) في غضب ، وهي تقول :

— ماذا تريدين ؟ .. كيف دخلت إلى حجرتي دون استئذان ؟

أجابتها (نادين) في حزن واضح :

— اعتذريا (إنجي) ، ولكن من الضروري أن أتحدّث إليك .

أشاحت (إنجي) بوجهها عنها ، وهي تقول :

— لم يعد بيننا حديث .

قالت (نادين) في مرارة :

— لا بد أن يكون بيننا حديث يا (إنجي) ، ف (محمد)

يحتاج إليك .

قالت في عناد :

— يا للسخافة ... وأنا ؟ .. ألا أحتاج إلى رجل ؟

أكملت (نادين) ، وكأنها لم تسمعها :

— (محمد) مصاب بورم في المخ يا (إنجي) .

زان الصمت ثمانا بعد عبارة (نادين) ، وبدت دهشة

***** ١١٥ *****

عارمة على وجهه (إنجي) ، وهى تلتفت فى بظء إلى
(نادين) ، مغمضة :

— متى ؟ متى عرفتم هذا ؟

سالت دمة حزن من عيني (نادين) ، وهى تقول :

— إنه يشعر بالصداع منذ زمن ، ولقد أجرى بعض
الفحوص أمس ، وتبين أنه مصاب بوزم فى المخ ، ويحتاج إلى
إجراء جراحة عاجلة فى (ألمانيا) .

زان الصمت مرة أخرى ، من قول المفاجأة ، حتى
غمضت (إنجي) :

— ومتى يسافر ؟

أجابتها (نادين) :

— بعد غد .. لقد أجرينا كل التريبات اللازمة .

ثم أضافت ضارعة :

— وهو يحتاج إليك .

زان الصمت للمرة الثالثة ، قبل أن تقول (إنجي) فى حزم :

— انتظرينى .. سأذهب معك .

ثم التفتت إلى (فاتن) ، مستطردة :

— معذرة .. إن زوجى يحتاج إلى وجردى ..

وعادت إليه ..

***** ١١٦ *****

١٣ — الجحود ..

كانت (إنجي) رائعة حقًا بموقفها هذا ..

لقد عادت إلى زوجها ..

عادت إليه ، لأنه يحتاج إليها ..

عادت كأيّة زوجة شريفة مخلصه ..

ولم تذكر حرفًا واحدًا عن خلافهما ، وهى تعدّه للسفر ،

بل على العكس ، ظلّ وجهها يمتعه — حتى لحظة سفره —

تلك الابتسامة المشرقة ، والعينين الصاحكتين ..

وسافر (محمد) ..

سافر ليُجرى عملياته الجراحية فى (ألمانيا) ..

وبقيت (إنجي) تنتظره بمشاعر سلبية عجيبة ..

لم تكن تشعر بالخوف من أجله ، بل بالشفقة التى يشعر بها

أى إنسان ، تجاه مريض مُقَدِّم على جراحة بالغة الخطورة ، قد

لا لئيب له النجاة منها أبدًا ..

شعور سلبى عجيب ..

***** ١١٧ *****

لم يكن أبدا شعور زوجة نحو زوجها ..
ربما لأنها لم تحبه أبدا ..
أو لأنها كرهته ..

لقد عادت إليه بحسدها ، لأن الواجب يقتضى ذلك ،
ولكنها لم تغد إليه أبدا بعقلها أو بقلبها ..
لقد كرهته تماما ، منذ تلك الليلة التي تخلّى عنها فيها ، في
منزل شقيقته ..

أخرجته من قلبها وعقلها إلى الأبد ..
حتى عندما جاءتها الأنباء بأنه قد أجرى الجراحة في أمان ،
وأن عملية استئصال الورم لم تنجح تماما ..
يومئذ لم تفرح ..

فقط شعرت بالارتياح ..
الارتياح ، لأنها بعد شفائه تستطيع أن تطالبه بالطلاق ..
لو فشلت العملية لم تكن لتجرؤ على مطالبته أبدا ..
هكذا تقول قواعدها ..

ول نفس اليوم ، الذي وصل فيه بنجاح العملية ، دخلت
أمه حجرة (إنجي) ، وقالت بعينين متألفتين :
— لقد بلغك خبر نجاح عملية (محمد) .. اليس كذلك ؟
أجابتها (إنجي) مبتسمة :

***** ١١٨ *****

— بلى .. لقد علمت .. شكرا لله ..
قالت الأم في شراسة خفية :
— كنت تتمنين موته بالطبع ..

حدقت (إنجي) في وجهها بدهشة ، وتمايلت أعصابها ،
وهي تقول :

— كيف يا أمّاه ؟ كيف أتعنى موت زوجي ؟
أجابتها حماتها في حدة :
— لترثيه ..

هتفت (إنجي) في دهشة :
— أرثه ..؟ وهل يملك ثروة لأرثه ؟
صاحت بها الأم :

— كفى تخايلا .. أنت تعلمين بالطبع أنه يملك هذا المبنى ،
ومبلمانا ضخما في البنك ..

حدقت (إنجي) في وجهها بذهول ، هاتفة :
— أقسم لك إننى لم أعلم هذا سوى الآن ..

قالت الأم في شجاعة عدوانية :
— لا يهم .. حتى ولو كنت تعلمين ، ما كنت لتعرفى
شيئا .. لقد احتاط ابني للأمر ..

***** ١١٩ *****

غمغمت (إنجي) في دُفُول :

— ماذا ؟

تابعت السيِّدة في هجة استفزازية :

— لقد خشى أن يموت في أثناء إجراء العملية ، فكتب كل ما يملك باسم أشقائه ، حتى لا تنال قرشًا واحدًا منه .

اختلط دُفُول (إنجي) بمزيج من الغضب والسُّخط ، وهي

تسمع هذه العبارة ..

آهة حقارة هذه ؟ ..

كيف يفكر ذلك الحقير بهذا الأسلوب ؟ ..

المال ؟ ..

أهذا كل ما يهمه ؟ ..

أهذا هو شعوره الحقيقي نحوها ، بعد كل ما فعلت من

أجله ؟

لقد عادت إليه وهي تبغضه ، لأنه كان يحتاج إليها ..

أهذه مكافأتها ؟ ..

وبكل الكبرياء والحزم واجهت أمه ، قائلة :

— فليرحفظ ابنك بأمواله ، فلست أبغى منه شيئًا .

أطلقت السيِّدة ضحكة ساخرة شامتة ، وهي تهف :

— هكذا ؟ .. يا للنزاهة !

***** ١٢٠ *****

ثم أضافت في شراسة :

— أنظنين أننا لم نفهمك ؟ .. لا يا بنة الطبقة الراقية .. إننا

أذكى مما تتصورين كثيرًا .. لقد غلبت إلى ابني ، عندما علمت

أنه مشرف على الموت ، خشية أن يطلقك قبلها ، فلا تنال من

ثروته شيئًا .. (نادين) قالت هذا .

هتفت (إنجي) في دُفُول :

— (نادين) ؟ .. ولكنها تعلم لماذا أتيت ؟ .. هي

التي

قاطعتها الأم في حدة :

— إننا نفهمك على حقيقتك .

وغادرت الحجرة في حدة ، دون أن تسمح لها بالتعليق ..

ولدقيقة كاملة ، بدت (إنجي) أشبه بتمثال من الرخام ،

وهي تقف في مكانها جامدة ، ذاهلة باردة ..

ثم فجأة ، انفجرت باكية ..

كيف يفعلون بها هذا ؟ ..

بل لماذا يفعلونه بها ؟ ..

فكرت جلدًا في حمل حقيبتها ، والعودة إلى منزلها ، إلا أن

عقلها لم يلبث أن أشار عليها بالبقاء ، حتى يصل زوجها ..

عندئذ يمكنها أن تفعل ما يحلو لها .

***** ١٢١ *****

ورصل (محمد) ..

عاد أكثر هدوءًا وحزمًا ..

وقبل أن يأتى إليها ، قضى ليلته فى منزل شقيقته (نادين) ،

فى القاهرة ..

وعندما عاد إلى مدينته الصغيرة ، كان الهدوء قد تلاشى ..

استقبلته (إنجي) بابتسامة هادئة ، وهى تقول :

— حمدًا لله على سلامتك يا (محمد) .

صافحها فى بُرود ، وهو يقول :

— شكرًا لك .

ثم أضاف فى حزم :

— تعالى .. أريد التحدث إليك وحدنا .

تبعته إلى حجرتهما ، حيث أوصد الباب خلفه ، وهو يقول :

— ماذا فعلت فى أثناء سفرى ؟

أدهشها سؤاله ، ولكنها أجابت بأقصى قدر ممكن من

الهدوء :

— وماذا سأفعل هنا ؟ .. إنها مدينة صغيرة كما تعلم .

تطلع إليها لحظات فى شك ، ثم قال فى حدة :

— أتم تمارسى لعبة التنس فى النادى ، وأنت ترتدين سروالًا

قصيرًا ؟

هتفت فى دهشة :

— أنا ؟

ثم أضافت فى حنق :

— ألا تعلم جيدًا أننى لا أجد لعبة التنس ؟

تجاهل عبارتها ، وهو يقول فى غضب :

— وماذا عن لوب الاستحمام الفاضح ؟

حدقت فى وجهه فى ذهول .

أى قول هذا ؟ ..

عم يتحدّث بالضبط ؟ ..

من وضع تلك الأفكار العجيبة فى رأسه ؟ ..

هل أصابه الجنون ؟ ..

نعم ..

هذا محتمل .

ربما كان هذا من مضاعفات إزالة ذلك الورم من المخ ..

وغمغمت فى تحفوت :

— (محمد) .. ماذا أصابك ؟

صاح فى وجهها غاضبًا :

— أفتى .. عرفت الحقيقة .

هتفت ذاهلة :

— أية حقيقة ؟

انفجر في وجهها :

— حقيقتك .

تراجعت كالصعوفة :

— حقيقتي .

راح يلوح بذراعيه في حدة ، صارخا :

— نعم .. عرفت حقيقتك .. عرفت أية مستهرة تزوجت ..

أغيب عن المدينة شهرا أو يزيد ، فترتكبين كل الموبقات .

هتفت في ذهول :

— الموبقات ؟

ثم التقى حاجباها في غضب ، وهي تستطرد :

— خذاري يا محمد (.. إنك تهنتي .

صرخ :

— أنا أهينك أنت .

ثم هوى على وجهها بفتة بصفعة مدوية ، ارتج لها كيانها

كله ، قبل أن يواصل صراخه في ثورة :

— أنا أهينك أيتها العاهرة ؟ .. ألا يكفيك كل ما فعلته بأمي

في غيبتى ؟

أما تكفيك إهاناتك لها ؟

راح يصب عليها جام غضبه ، وهي تحلق فيه في ذهول ،

ويدها على وجهها في موضع صفته ..

لم تدافع عن نفسها ..

لم تحاول ..

لقد شعرت بعدم جدوى هذا ..

بقيت صامتة تستمع إلى إهانتها ..

ومن العين العسلتين ، سالت دموع القهر والمهانة

والهذلة ..

يا له من جاحد !!

يا لهم جميعا من جاحدين !! ..

وفجأة ، انفجر صمتها ..

انفجر عن كلمة واحدة :

— طلقني .

انعقد حاجباه ، وهو يقول في حدة :

— ماذا ؟

صرخت بكل آلامها :

— طلقني يا محمد (.. لم أغد أحتمل العيش معك .

أطلق ضحكة عصبية ، وهو يقول :

— هكذا ؟ .. وبكل بساطة ؟

هتفت في انهار :

— نعم يا (محمد) .. لن نعقد الأمور .. لست أريد منك

شيئا .. فقط طلقني يا (محمد) .. طلقني .

زان عليهما الصمت لحظات ، وهو يحلق في وجهها

بغضب ، قبل أن يقول في صرامة :

— مُخال .

صرخت :

— طلقني .. أرجوك .

هتفت في حدة :

— لا .. لن تنال الطلاق — سابقك هكذا ..

صرخت :

— أرجوك يا (محمد) .

صرخ بدؤره :

— لا .

ثم أشار إلى صدره ، مستطرذا :

— في هذا الأمر بالذات لا تملكين سوى طاعتي .

ثم رفع رأسه مضيقا في صرامة :

— مستعلمين هذه الطاعة .

وتركها وحدها في منتصف الحجرة ، وانصرف ..

وانهارت (إنجي) ..

انهارت تماما ..

إنها لم تعد تحمل ..

لم تعد تحمل أبدا ..



١٤ — العودة ..

تم الطلاق بين (محمد) و (إنجي) ..
لم يكن الأمر بتلك السهولة ، التي استغرقها انقائك من
آخر كلمات الصفحة الماضية ، إلى بداية هذا الفصل ..
لقد كان أمراً عسيراً ..
عشرات من أفراد الأسرتين تفاوضوا في الأمر ..
عشرات من الأقارب تدخلوا كوسطاء ..
مئات من الخلافات والمناقشات والمفاوضات ..
ودون الدخول في تفاصيل صعبة ومعقدة ، يكفي أن نقول
أن الطلاق قد تم في النهاية ..
وعادت (إنجي) حرة ..
وعلى الرغم من قسوة التجربة ، إلا أن (إنجي) بدت
شديدة الفرح والسعادة بعد طلاقها ..
كانت تماماً كطير تحرر من قفصه ..
وعندما زارها (فاتن) ، غشيت الطلاق ، احتضنتها
(إنجي) في سعادة ، وهي تهف :

***** ١٤٨ *****

— تحررت يا (فاتن) .. تحررت ..
أجابها (فاتن) في ارتياح :
— أنت سعيدة إذن يا (إنجي) ؟
هتفت :

— سعيدة ١٢ .. بل قولي لي قمة السعادة ..
ابتسمت (فاتن) في حنان ، وهي تسمع إليها وهي تستطرد :
— لقد كان كابوساً يا (فاتن) .. أسرة معقدة ، متخلفة
الفكر ، وشاب عصبي عديم الشخصية .. يا إلهي !! .. هذا الله ..
استمعت إليها (فاتن) ، دون أن تقاطعها ، طيلة المساء ،
وهي تشفق عليها في أعماقها ..
تشفق عليها من مساوي الطلاق ..
ولقد عانت (إنجي) من ذلك بالفعل ..
فجأة ، تغيرت معاملة والديها بعد طلاقها ..
فجأة ، أصبحا يحيطانها بسياس القواعد والمفروضات ..
وعندما حاولت (إنجي) مقاومة ذلك واجهتها أمها في
صرامة وحزم ، قائلة :
— لا يا (إنجي) .. لن أسمع لك بمخالفة أوامري هذه
المرة .. مستعدين إلى المنزل قبل العاشرة مساءً ..
هتفت معترضة :

***** ١٤٩ *****

— لماذا ؟ .. إننى أعمل فى صيدلية ، وقد تطلق أبوابها بعد هذا الموعد .

أجابتها أمها فى عناد :

— ولر .

هفت فى حدة :

— ولماذا هذا التعنت ؟

أجابتها أمها فى حزم :

— لأنك الآن لست كالماضى .. إنك مطلقة ، ونظرة المجتمع للمطلقات نظرة متخلفة ، ولكنها تحكم حياتهن تماماً .

ومرة أخرى كررت (إنجى) عبارتها التقليدية :

— فليذهب المجتمع إلى الجحيم .

وظلت تقاوم التقاليد كماداتها ..

وعادت إليها تلك الابتسامة المشرقة ..

وعادت الضحكة إلى العينين العسلتين ..

وذات يوم عادت إليها أختها (مروة) باكياً ، فسألتهما فى جزع :

— ماذا بك ؟ .. ماذا حدث ؟

بكت (مروة) وهى تقول :

— (هالى) .. لقد تخلى عني .. لقد تركنى وارتبط

بواحدة من أعز صديقاتى .

***** ١٣٠ *****

هفت (إنجى) فى ذهول :

— تركك !؟

راحت (مروة) تبكى فى حرارة ، وهى تقول :

— نعم يا (إنجى) .. تركنى دون أن أخطئ فى حقك ..

خائنتى مع أعز صديقاتى .. لست أدري كيف فعل هذا .. لقد

كنت أحبه بكل جوارحى .. إننى حتى لا أتصور نفسى زوجة

لسواه .

ضمت (إنجى) شقيقتها إلى صدرها ، ورثت على كتفها

فى حنان ، وهى تقول :

— يبدو أن هذا قدواتنا يا (مروة) .. أن يتخلى الجميع

عنا .

ومع دموع أختها ، راحت دموعها تسال فى صمت ..

وراح عقلها يسترجع حياتها كلها ..

لقد تخلى عنها الجميع ..

(مجدى) ..

و (ماهر) ..

و (منير) ..

وحتى عندما تزوجت ، تخلى عنها زوجها ..

أين الخطأ يا ترى ؟ ..

***** ١٣١ *****

أهو فيهم ؟

أم فيها ؟

من منهم على حق ؟

لقد تخلى عنها (مجدى) لأنها رفضت أن تتجاوز حدود

الأدب ..

وتخلى عنها (محمد) مدعياً أنها تجاوزتها ..

وتركها (ماهر) ، لأنها رفضت طاعته ..

و (منير) ، لأنها أهرطت في الطاعة ..

أين الطريق الصحيح إذن ؟

أين الحق ؟

هل من الخطأ أن يتبع الإنسان عقله ؟

هل من الخطأ أن يقاوم التقاليد ، حتى ولو كانت عتيقة

بالية ؟

رفض عقلها الاقتناع بأن هذا خطأ ..

إنها ستظل على حالها ..

ستحيا كما يرى عقلها ..

ستقاوم التقاليد ..

ستقاتل كل القواعد البالية ..

كل القضبان العتيقة ..

وانطلقت (إنجي) في حياتها ..

ومع مرور الوقت ، نسي والداها حقيقة كونها مطلقة ..

وعادت كما كانت من قبل ..

وذات يوم ، وهى تعمل بانهمالك في تلك الصيدلية ، التى

حملت فيها لقب المدير المسئول ، سمعت صوتاً هادئاً يقول :

صباح الخير يا (إنجي) ..

ارتجف جسدها كله لسماع الصوت ، وتردأت لحظة ،

قبل أن ترفع عينها إلى صاحبه ، مغمضة في انفعال :

— (منير) ؟

كان يقف أمامها بقامته الطويلة ، ووجهه النحيل ، وهو

يقول برصانته :

— نعم يا (إنجي) .. هو أنا ..

غلغلهما الصمت بعدها لحظة ، بغلاف سميك قوى ، قبل

أن تقول هى في سرعة :

— تفضل يا (منير) .. اجلس ..

جلس على المقعد المقابل لها في هدوء ، وهو يلتهم وجهها

بنظراته ، فتصاعدت ضربات قلبها ، وارتفعت حمرة الخجل

والاضطراب إلى وجنتيها ، وهى تفهم مربكة :

— كيف حالك ؟ وكيف حال (منى) ؟

أجاب في الخفوت :

— لم يُعد لي شأن به (منى) .
سأله في دهشة :

— لماذا ؟ .. هل تشاجرتما ؟

هز رأسه سلبيًا ، وقال :

— لا .. لقد انفصلنا .

لحيل إليها أنها لم تفهم عبارته ، فعممت في دهشة :

— ماذا ؟

أجاب في هدوء :

— انفصلنا .. فسخرنا خطبتنا .

تراجعت في دهشة عارمة ، وهي تردّد :

— ولكن لماذا ؟ .. وكيف ؟ .. لقد كان ينبغي أن يتم

زفافكما بعد شهر واحد .

قال في حزم :

— كان من المستحيل أن يتم هذا .

سأله في دهشة :

— لماذا ؟

تطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

— لأنني لا أحب (منى) يا (إنجي) .. إنني أحب إنسانة أخرى .

ارتجف قلبها عند ما قرأت الجواب في عينيه ، قبل أن تقول شفاهًا :

— أنت .



١٥ — بلا أمل ..

١ (منير) ؟ ..

هتفت (فائق) بالاسم في دهشة ، قبل أن تستطرد في

حماس :

— (منير) يطلب الزواج منك ؟ .. حقًا ؟

صاحت (إنجي) في سعادة غامرة :

— تصوّري يا (فائق) — لقد عاد .. عاد إلي .. إنه

الشخص الوحيد الذي أحبته من كل قلبي .. تصوّري .

ابتسمت (فائق) في حنان لسعادتها ، وهي تقول :

— كم يُسعدني ذلك يا (إنجي) .. كم يُعيدني ذلك .

هتفت (إنجي) في فرحة عارمة :

— أعلمين .. سيأتي الليلة لخطبتي .

هتفت (فائق) في حماس :

— الليلة ؟

أجابتها (إنجي) كطير مفرد :

— نعم .. الليلة يا (فائق) .

وأنت (منير) ..

أنت وحده تطلبها ..

واستقبلته أمها باهتمام هادئ ، واستقبله والدها في
رصانة ، وجلست هي معهم سعيدة ، تملأ ابتسامتها وجهها ،
وتطل ضحكها من عينيها العسلتين ، حتى قال (منير) :
— لقد أتيت في الواقع لطلب يد (إنجي) .

ابتسم والد (إنجي) ، وهو يقول :

— ولماذا لم تأت والدك معك يا بنتي ؟

أجابته (منير) :

— والدي راحل — رحمه الله — وأمي سيّدة مريضة .

قال الوالد :

— ولكن التقاليد يا ولدي ..

هتفت (إنجي) :

— أمتحاصر هذه التقاليد حياتنا كلها ؟

عقد والدها حاجبيه ضيقاً ، وقال :

— فيما يختص بالزواج ، نعم ، فمن الطبيعي أن أتأكد من
أن والدته توافق على زواجه من ابنتي على الأقل .

احتقن وجه (منير) لحظة ، ثم قال :

***** ١٣٦ *****

— لا بأس يا عمه .. ستصحبني والدتي في الزيارة
القادمة بإذن الله .

ابتسم الوالد قائلاً :

— في هذه الحالة ، لست أظنني أرفض طلبك يا ولدي .

رقص قلب (إنجي) فرحاً ..

لقد وافق والدها ..

إنها ستزوّج (منير) ..

ستزوّج الشخص الوحيد ، الذي أحبته في حياتها كلها ..

وغادر (منير) المنزل ، مع وعد بالعودة مع أمه ..

ولكنه لم يقدّر طويلاً ..

وبدأ القلق يتسرب إلى نفس (إنجي) ، وسألت صديقتها

(فائق) :

— ماذا نظنين سبب تأخره يا (فائق) ؟

أجابتها (فائق) في خيرة :

— لست أدري .. ربّما

بترت عبارتها بهمة ، على نحو جعل (إنجي) تهتف :

— ربّما ماذا ؟

تردّدت (فائق) لحظة ، ثم قالت :

— اسمعي .. إن شقيقته طيبة زميلة .. سأسلها عن سرّ تأخره .

***** ١٣٧ *****

هتفت (إنجي) في لغة :

— نعم يا (فائق) .. أرجوك .

وذهبت (فائق) لسؤال (نجوى) ، شقيقة (منير) ،
وهي تخشى في أعماقها أن يكون سبب تأخره مرتبطاً
بمخاوفها ..

ولقد كانت على حق ..

إنها لم تكذب سؤال (نجوى) ، حتى هتفت في حدة :

— لن يذهب إليها أبداً .

سألها (فائق) في قلق :

— لماذا ؟

أجابتها في صرامة :

— لأن أحداً منا ، أُمِّي ونحن ، لا يوافق على زواجه منها .

قالت (فائق) معترضة :

— لماذا ؟ .. (إنجي) فتاة رائعة ، و

قاطعتها في حدة :

— إنها فتاة سيئة السمعة .. هل نسيت قصتها مع

(مجدى) ، عندما قبلها في الأقصر ، واستهتارها الدائم بكل

القواعد والتقاليد ، وطلاقها .

هتفت (فائق) مدافعة :

— كل هذا كذب .. (إنجي) أشرف فتاة رأيتها في

حياتي .

أجابتها في صرامة :

— زوجها شقيقك إذن .

قالت (فائق) في حزم :

— لست في شقيقاً ، لكن زوجتها إياه بكل فخر وسعادة .

هتفت بها (نجوى) :

— افعل ، واتركينا نحن لحالنا .. إن شقيقي (منير) لن

يتزوج (إنجي) أبداً .

قالت (فائق) :

— حتى ولو كان يحبها ؟

أجابتها في صرامة :

— هذا لو أنه لا يحب أمه ، فلقد أقسمت أُمِّي أن تتبرأ منه

لو فعل .

هذا ما كانت تخشاه (فائق) ..

تاريخ (إنجي) ..

صحيح أنها تعرف جيداً حقيقة (إنجي) ..

ولكن الآخرين لا يعلمونها ..

لقد هزمها المجتمع ..

لم يذهب هو إلى الجحيم ، بل أرسلها إليه وبقي ..

أرسلها إلى جحيم ثورتها على التقاليد ..

ولم تخبر (فاتن) (إنجي) بما سمعته من (نجوى) ..

لم تجرؤ ..

وظلّت (إنجي) تبحث عن سرّ غياب (منير) طويلاً ..

ثم التقت به ..

هو سعى إليها صاحب الوجه ، مضطرباً ، وقال :

— معذرة يا (إنجي) — لست أدري كيف أشرح لك

الأمر .

هتفت به في جزع :

— ماذا حدث يا (منير) ؟ .. أين كنت ؟

أجابها في صراحة :

— اسمعي يا (إنجي) .. أُمّي ترفض زواجي منك .

تراجعت كالصعوفة ، وهي تهتف :

— لماذا ؟

لوح بكفه ، قائلاً :

— ليس هذا هو المهم — المهم أن نجد وسيلة للزواج .

سأله كالديبحة :

— كيف ؟

مال نحوها ، وهو يقول في انفعال :

— اسمعيني جيّداً .. لقد أغلذت كل أوراق للسفر إلى

قطر عرني ، حيث يتطلوني عمل رائع ، ما رأيك أن نتزوج سرّاً .

غمغمت في مرارة :

— كزوجة يرفضها أهلك ؟

أجاب في حدة :

— زواجنا سيضعهم أمام الأمر الواقع .

قالت :

— وسيضعني أنا في موقف مهين .

هتف :

— دَعْكَ من المواقف .. المهم أن نتزوج .

هزّت رأسها سلماً ، وقالت :

— لا يا (منير) .. ليس المهم هو أن نتزوج فحسب ..

بل ألا أمر بتجربة زواج فاشلة أخرى .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت :

— ثم إن أبي وأُمّي لن يقبلا زواجاً كهذا

هتف :

— حسناً ، ما رأيك أن أسافر أولاً ، ثم نتزوج عن طريق

توكيل رسمي ، و

قاطعة في مرارة :

— ولماذا لا تنزّوج هنا ، ثم تسافر معاً ؟

عقد حاجيه في حدة ، دون أن يحيب ، فأضافت في ألم :

— أتخشى مواجهة أهلك بزواجك متى دون موافقتهم ؟

لم يجب بعض الوقت ، ثم قال في حدة :

— لا يوجد حل آخر .

قالت كمحاولة أخيرة :

— اسمع يا (منير) .. لماذا لا تسافر وحدك ، وتحاول عن

طريق الخطابات إقناع أهلك بزواجنا ، وعندما يوافقون نتم

الزواج ؟

أشاح بوجهه عنها لحظات ، ثم غمغم :

— ربما .

ثم أضاف في توتر ملحوظ :

— وهل ستظرينى حينذاك ؟

أجابته في حرارة :

— أعدك أن أفعل .

نهض من مقعده ، وألقى عليها نظرة طويلة ، وهو يقول :

— نعم .. أظن هذا هو الحل الوحيد .

نهضت تقول في حنان :

***** ١٤٢ *****

— سأنتظرك يا (منير) .

ألقى عليها نظرة طويلة أخرى ، وقال :

— انتظرينى ..

وغادر المكان في خطواته الهادئة التقليدية ..

والزمن يمضي ..

وكل ما يحيط بـ (إنجي) يتغير ..

شقيقتها (إلهام) أنجبت طفلاً جميلاً ، على الرغم من

شجارها الدائم الذي لا ينقطع ، مع زوجها وعائلته ..

وشقيقتها (مروة) تجاوزت صدمة غلّي (هاني) عنها ،

وقمت بخطبتها لشاب وسيم هادئ الطباع ..

وأما نالت شهادة دبلوم السكرتارية من الجامعة

الأمريكية ، وانهمكت في عمل جديد ..

حتى صديقتها (فائق) ، أصبحت زوجة وأماً ..

كل الأمور تتبدل ..

حتى (إنجي) ..

لم تعد كما كانت ..

لم تعد مريحة نشطة ..

لم تعد عيناها تحملان تلك الضحكة ..

فقدت العيون بريقها ، وفقدت الشفاة ابتسامتها ..

***** ١٤٣ *****

وصارت (إنجي) عصبية مُسرفة في التدخين ..
ونحلت كثيرًا ..
ولأول مرة في حياتي ، أراها حزينة واجهة شاردة هكذا ..
الشيء الوحيد الذي تُوليه (إنجي) اهتمامها الآن ، هو
صندوق الخطابات ..
وأحيانًا الهاتف ..
وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، ما زالت (إنجي) تنتظر ..
تنتظر عودة (منير) ..
وأحيانًا تبدو لها هذه العودة بعيدة كالأفق ..
وأحيانًا أخرى تبدو لها أقرب من أنفاسها ..
ولكن الأمل في نفسها يضعف يومًا بعد يوم ..
والحياة تمضي ..
وهي تمشي ذلك اليوم ، الذي قد تجد نفسها فيه وحيدة ..
و (بلا أمل) ..

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

***** ١٤٤ *****

المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

بلا أمل

حاولت (إنجي) طيلة
عمرها أن تتحدى إحصار التقاليد
الجارف، وأعطتها الحياة الحب بلا حدود،
ولكنها في كل مرة كانت تصطدم بذلك الجدار
الصلب من القواعد والتقاليد، فهل
تنجح أخيراً في تحطيمه، أم
يبقى حياً (بلا أمل)!!...

التمن في مصر

وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم